شعراء الدعوة الإسلامية

في العصر الحديث

ولست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي

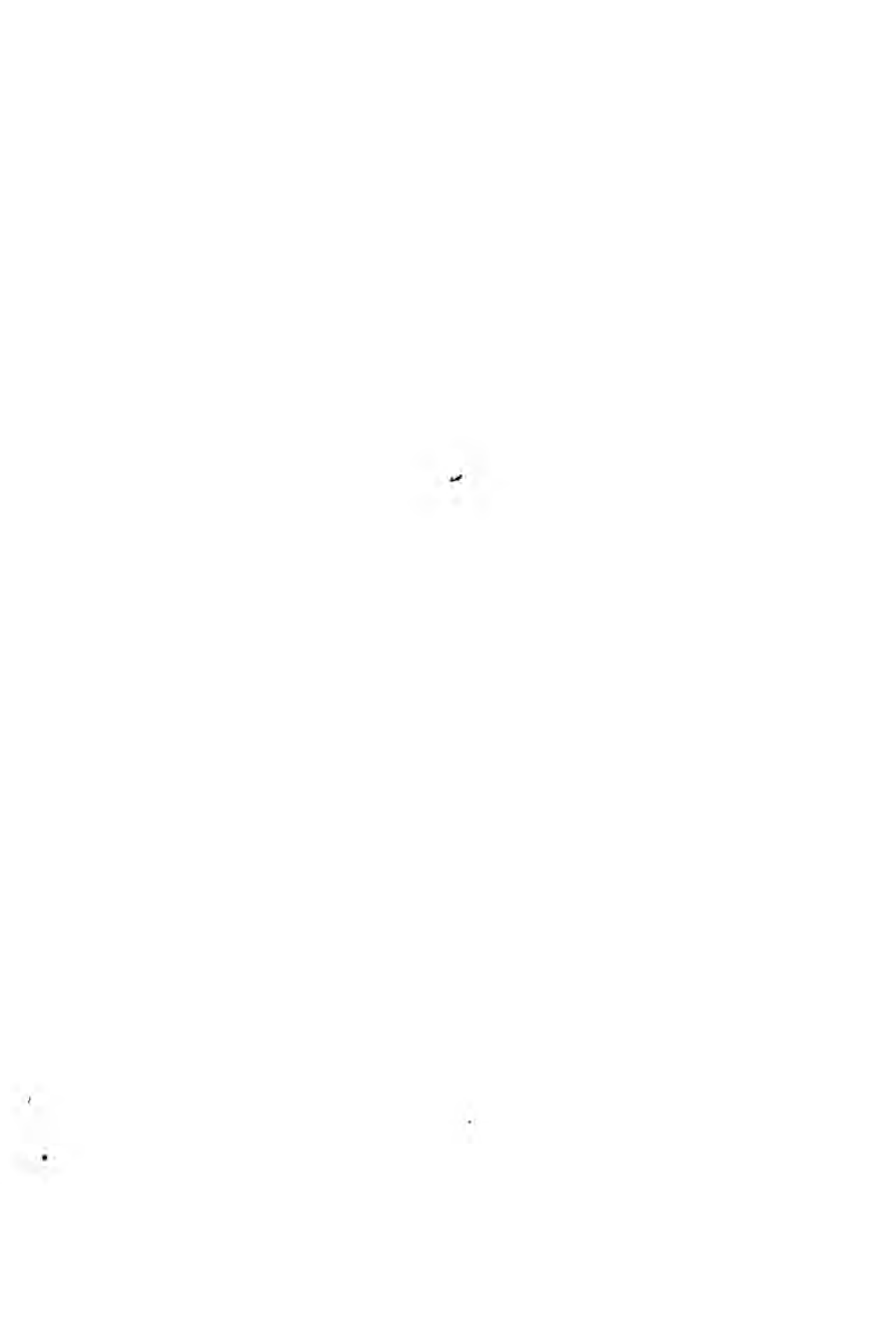
تأليف

أحمد عبد اللطيف الجدع   حسني أدهم جرار

علي أحمد باكثير
محمد محمد التاجي
شريف القاسم
الحبيب المستاوي
محمد علي صوان



مؤسسة الرسالة



شعراء الدعوة الإسلامية
في العصر الحديث

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

شعراء الدّعوة الإسْلاميّة

في العصر الحديث

تأليف

احمد عبد اللطيف الجدع — حسني أدهم جرار

الجزء التاسع

مؤسسة الرسالة


بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء هذا الجزء :

عَلي احمد باكثير

محمد محمد التاجي

شريف القاسم

الحبيب المستاوي

محمد علي صوّان



عَلي احمَد باكثير[1]

في جنوبي الجزيرة العربية تعيش قبائل عـريقـة تنـزع في أصولها إلى قحطان وعدنان، ففيها من قريش فروع تنتسب إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يعرفون بالعلويين، وفيها من همدان وحمير وكندة ومذحج قبائل عاشت تكن للعلويين احتراماً وحباً أفضى بهم، مع تطاول الزمن والبعد عن أصول الشريعة، إلى نوع من التقديس من طرفهم ونوع من الاستعلاء من جانب العلويين.

عاشت هذه القبائل في بلاد عرفناها من القرآن الكريم باسم الأحقاف، وعرفها الناس أيضاً باسم حضرموت، وهي

---

(١) أهم ما رجعنا إليه في الكتابة عن الشاعر ما يلي:

١ ـ شعراء اليمن المعاصرون للاستاذ هلال ناجي من منشورات مؤسسة المعارف في بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ م.

٢ ـ قضايا قومية ومواقف إسلامية في شعر علي أحمد باكثير للاستاذ محمد أبو بكر حميد دراسة منشورة في مجلة البيان الكويتية العدد ١٨٩، كانون أول ١٩٨١ م من ص ٧٠ إلى ص ١٠٥.

٣ ـ المسرحيات الشعرية للشاعر.

الآن جزء من جمهورية اليمن الجنوبية؛ ولا زلنا نطلق على هذه القبائل اسم الحضارم أو الحضارمة.

والشعب الحضرمي من أكثر الشعوب العربية نشاطاً وذكاءً وإخلاصاً، برع في التجارة فجاب الأرض التي حوله، برها وبحرها، فوصل إلى اندونيسيا والصومال والحبشة، وأوغل في الجزيرة العربية، فلا تكاد مدينة فيها تخلو من تاجر حضرمي له في أسواقها اسم وسمعة، وله بين أهلها قدر واحترام.

وكان لتجار الحضارم الذين وصلوا إلى جزائر الهند الشرقية أو إلى السواحل الشرقية لافريقية أثر كبير في نشر الإسلام بالقدوة الحسنة والسمعة الطيبة.

وكان ممن وصل من هؤلاء الحضارم إلى جزر الهند الشرقية، وهي ما نعرفه الآن بأندونيسيا، رجل تاجر أمين يدعى أحمد باكثير، استقر به المقام مع زوجه التي تنتمي إلى آل أبي بسيط في مدينة سورابايا بجزيرة جاوة، فاتخذ منها داراً ومتجراً، وأخذ يمارس فيها نشاطه التجاري بالإضافة إلى ما يقوم به من اتصال بأهلها الذين أقبلوا على الإسلام وأحبوا من جاءهم به فأكرموهم وآووهم وقبلوهم إخوة في الدين وشركاء في الوطن.

وفي عام ١٩١٠ م ولد لأحمد باكثير مولود ذكر أسماه

علياً، رعاه ورباه إلى أن قاربت سنه على الثامنة، فأرسله إلى موطنه الأصلي حضرموت ليتلقى تعليمه فيها على أيدي مؤدبين عرب يلقنونه حب العربية ويسقونه عشق الإسلام، وفي بلدة سيوون حيث حل الفتى في بيت خاله، أقبل على دراسة اللغة العربية حتى برع فيها وامتزج حبها بدمه، فلم تكد سنه توفي على الثالثة عشرة حتى أقبل على الشعر العربي يحفظه وينظمه، وأعجب بشعر المتنبي فكان له تأثيره على تكوينه الأدبي، وقال الشعر وفي أعماقه أمل أن يكون كشاعر العربية الكبير، فلما أسمع أساتذته شعره أطروه وشجعوه، ورأوا فيه شاعراً عربياً واعدا، وأملوا أن يكون واحداً من شعراء العربية العظام يضاف إلى شعراء العربية الأفذاذ الذين حفل بهم تاريخ الشعر العربي في امتداداته العريقة.

كانت الفترة التي عاشها الفتى علي في حضرموت فترة شقاق ونزاع بين المحافظين على ما ورثوه من بدع وخرافات في العادات والتقاليد وبين من يدعون إلى الخروج على هذه البدع والتقاليد وينادون إلى الانفتاح على عهد جديد يسود فيه العقل المستنير والفكر الأصيل، وكان ميل الفتى مع دعاة الإصلاح والتجديد وذلك بالعودة إلى روح الإسلام الذي ينكر البدع والخرافات ويحاربها..

وعندما رأى الفتى أنه نهل من علماء بلده علماً لم يكن عندهم

علم أوسع منه، عزم على الرحيل إلى بلاد أخرى لعله يجد فيها مبتغاه، وكان ما يبتغيه مزيداً من العلم والمعرفة، فرحل إلى عدن، ثم إلى الصومال والحبشة، ثم إلى الحجاز حيث مكث فيها أكثر من عام قضاه متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف.

وكان لعلي باكثير، الأديب الحضرمي الناشيء، صلات مع أدباء الحجاز الذين كانت لهم في موسم الاصطياف في الطائف مجالس يتطارحون فيها الشعر ويتدارسون الأدب ويتذاكرون أخبار الأدباء العرب.

وفي أثناء إقامة باكثير في الحجاز اطلع على مسرحيات أحمد شوقي الشعرية، وقد أعجبه هذا النهج في نظم الشعر، وأدى به هذا الإعجاب إلى النسج على منواله، فكتب أولى مسرحياته «هُمام أو في بلاد الأحقاف» سنة ١٩٣٣ م، وظاهر من عنوان هذه المسرحية أنها تتحدث عن بلاده حضرموت، بلاد الأحقاف، وظاهر من الآية الكريمة التي صدّر بها المسرحية: ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ أنه يدعو فيها إلى الإصلاح وأنه نذر نفسه ليكون النذير بهذا الإصلاح.

ولعل اطلاع باكثير، وهو في الحجاز، على النهضة الأدبية التي كانت سائدة في مصر آنذاك، هو الذي دفعه إلى الرحيل

إليها، فشدّ إليها الرحال عام ١٩٣٤ م عازماً على دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي في الأزهر الشريف، ويبدو أنه غير رأيه بعد وصوله فدخل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول دارساً في قسم اللغة الإنجليزية فيها، ومن خلال دراسته للأدب الانجليزي أعجب بالشاعر الانجليزي شكسبير فترجم له ونسج على منواله، وتخرج في كلية الآداب عام ١٩٣٩ م ثم درس في كلية المعلمين وحصل على دبلوم في التربية عام ١٩٤٠ م، وبهذه الشهادة عمل مدرساً للغة الانجليزية في المدارس الثانوية المصرية، واستمر في هذه المهنة حتى عام ١٩٥٥ م عندما نقل إلى مصلحة الفنون عند إنشائها، وبقي أحد موظفي وزارة الإرشاد القومي إلى أن توفاه الله في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩٦٩ م.

كان أول من تعرف إليهم شاعرنا عندما قدم مصر الأديب العربي الكبير محب الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح وصاحب المطبعة السلفية ومكتبتها، وفي جريدة الفتح بدأ ينشر إنتاجه الشعري، وفي المطبعة السلفية طبع مسرحيته التي ألفها عندما كان في الطائف « همام أو في بلاد الأحقاف » وذلك سنة ١٣٥٣ هـ، ثم عقد صداقات مع كبار الأدباء في مصر من أمثال حسن كامل الصيرفي وإبراهيم عبدالقادر المازني، وقد أبدى كلاهما أعجابه بشاعرية باكثير ومقدرته

الأدبية، ثم اتسعت صلات شاعرنا فاتصل بأدباء من فلسطين والشام والعراق، فكانت له صلات مع إسعاف النشاشيبي في فلسطين وبدر شاكر السياب في العراق...

ونشر شاعرنا إنتاجه في مجلات عربية كثيرة من أهمها مجلة التهذيب التي كان يصدرها أدباء سيوون في حضرموت وكان شاعرنا لفترة أحد محرريها، ومجلات وصحف الوادي والمعرفة والفتح والرسالة والثقافة والأسبوع وأبوللو والرسالة الجديدة، وتعتبر هذه المجلات والصحف من أهم المراجع لدراسة شعر باكثير.

وشارك باكثير في النشاط الثقافي في مصر، فكان عضواً في لجنة الشعر ولجنة القصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وعندما صدر قانون التفرغ الأدبي كان باكثير أول من حصل على منحة للتفرغ مدتها عامان كتب خلالها سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بمسرحية من تسعة عشر جزءاً أسماها «ملحمة عمر».

زار باكثير فرنسا في بعثة دراسية حرة اطلع فيها على الآداب الفرنسية سنة ١٩٥٤ م، وفي سنة ١٩٥٦ م زار رومانيا والاتحاد السوفياتي عضواً في وفد أدباء مصر بدعوة

من اتحاد كتاب رومانيا واتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي، وفي سنة ١٩٥٨ م مثل الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا الأول الذي عقد في طشقند، ولا نشك في أن باكثير تذكر المسلمين في هذا البلد وما أصابهم على أيدي السوفيات من ظلم وقهر وتشريد.

شعره:

الروافد الأولى لثقافة باكثير كانت عربية إسلامية خالصة، فقد تلقى علومه على عدد من مشايخ بلدته سيوون بحضرموت، وبتشجيع منهم قرأ دواوين الشعر العربي قديمه وحديثه، وكان تأثره بالمتنبي بالغاً، كما أعجب وتأثر بالشاعرين المعاصرين شوقي وحافظ، وبدأت بوادر موهبته الشعرية تظهر وهو لم يزل يدرج في عامه الرابع عشر، فكان ينظم الأبيات المعدودة والقصائد القصار ويعرضها على أهل الأدب فيشجعونه ويلقيها على هواة الشعر فيطرونه، وكان هذا الإطراء وذاك التشجيع يدفعانه إلى المضي في نظم الشعر وتجويده...

وكان للأوضاع الاجتماعية السائدة في حضرموت أثرها على تفكير شاعرنا، ومن ثم على اختيار موضوعاته لقصائده التي ينظمها، فقد كانت الأوهام والخرافات منتشرة بين الناس

مستبدة بتفكيرهم وتصرفاتهم، فقد لجأ الناس إلى اطراح الجد والعمل ولجؤوا إلى قبور صماء يتوجهون إليها بطلب الحاجات وردّ المصائب ودفع الحادثات، وحتى يقنعوا أنفسهم بصواب ما يفعلون اختاروا لهذه القبور أسماء براقة، فدعوها بأضرحة الأولياء، ولم يعلموا أن البشر لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فضلاً عن أن يملكوه لسواهم، ولما استمرؤوا اللجوء للأموات رأوا أن يقدسوا نفراً من الاحياء، فساروا وراء مدعين لبسوا لباس العلم وما هم بعلماء، وافتروا على الله وادعوا أنهم للغيب عالمين وفي مصائر الناس متحكمين...

ولاحظ شاعرنا أن شعبه مبالغ في كل شيء، مبالغ في اعتقاده بالخرافات والأوهام، مبالغ في احترامه لأضرحة الأموات: مبالغ في انسياقه وراء الدجالين من المتعالمين، مبالغ في تمسكه بالعادات. وإن جلبت له الهلاك...

وهكذا فإن شاعرنا وجد نفسه ملزماً برفع راية الإصلاح، وقد لاقى من جراء ذلك عنتاً، فقد حاربه المنتفعون وازورّ عنه الساذجون، ولكنه لم يأبه لذلك ومضى في طريقه.

كان شاعرنا الشاب يدعو الناس لفهم الإسلام على حقيقته ويحثهم على نبذ ما هم عليه من أوهام، وكان متأثراً في ذلك

بدعوة الأفغاني ومحمد عبده التي كانت أخبارها تصل إلى حضرموت مع الصحف القليلة التي تتسرب إليها مع القادمين من إندونيسيا:

أنا لا أعرف إلا دعوة
لجهال الدين شقّت غُلفا [1]
تندب الناس إلى دين الهدى
مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام، ولا
بدع تحسب فيه زُلفا
تفتح العلم على أبوابه
في وجوه المسلمين الحُنفا
ليكونوا سادة الدنيا، كما
وعد الله، عليها خُلفا

وكانت الصدمة الأولى التي أثرت في مجرى حياته موت زوجه، فارتحل إلى عدن والصومال والحبشة ثم إلى الحجاز حيث الاتصال بالعالم الخارجي، والعربي منه بخاصة، أكثر سهولة مما هو في حضرموت، وفي الحجاز اطلع لأول مرة على

(١) مسرحية «همام أو في بلاد الأحقاف» ط ١. المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ص ٢٤

الفن المسرحي من خلال مسرحيات شوقي الشعرية، فكتب مسرحيته الشعرية الأولى التي تدل على منهجه الإصلاحي وعلى اتجاهه الفكري، ونستطيع أن نلمس ذلك أول ما نمسك بالمسرحية، إذ يطالعنا عنوانها «هُمام أو في بلاد الأحقاف» مضافاً إليه الآية الكريمة: «واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف».

ولكي نفهم باكثير في مسيرة حياته في مراحلها المختلفة لا بد لنا أن نستعرض الأفكار الأساسية في هذه المسرحية، فهي أولى ما أنتجه وفيها البِذور التي زُرعت في نفسه ثم نبتت فيما بعد وأورقت وأثمرت هذا العطاء الثّر الذي أضاف للمكتبة العربية ثروة تدعو إلى التقدير العظيم لهذا الأديب الحضرمي الكبير.

تُطالعنا في هذه المسرحية روح إسلامية صادقة، ونفس مؤمنة واعية، ترى صلاح الأمة في التمسك بكتاب الله وترى دمارها وانهيارها في التفريط فيه:

وكتـــاب الله بـــاق خـــالـــد
تنجلي آيـــاتـــه في كـــل حين[1]

(١) مسرحية «همام أو في بلاد الأحقاف» ط ١ المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ص ١١

إنـــــه يشعــــــل في أنفسكـــــــم
جــذوة الديــــن وعـــزّ المؤمنين
إنـــــه يبعـــــث في أرواحكـــــم
قـــوة هـــــائلـــــة لا تستكين
فتـــح الدنيـــا بـــه أسلافنـــا
مـن ربـى الغـرب إلى الســور المكين
وأضعنـــــاه فهنــــا بعـــــده
وغـــدونـــا مضغـــة للآكلين

وحتى يكون المسلمون أهلاً لحمل هذا الكتاب والانطلاق به من جديد لا بد لهم أن ينبذوا ما هم عليه من ضلال في العادات والتقاليد، وأن ينبذوا كل ما يزري بهم من هذه الأمور:

رفـــع الإسلام مــــن أنفسكـــــم
فـارفعـوهـا عـن دعـاء المقبريـن[2]
لا تـــــذلـــوا لســـوى الله، ولا
تخضعـــوا إلا لـــرب العـــالمين

ومن الجدير بالتسجيل هنا أن باكثير الذي نظم مسرحيته

---

(٢) المرجع السابق ص ١١

هذه في سن الثالثة والعشرين، قد تكونت لديه فكرة تامة عن منهج في الإصلاح لهذه الأمة قد لا يفطن إليه من هم أكبر منه سناً وأكثر تجربة، فقد أدرك العلاقة العضوية بين وطنه الخاص حضرموت ووطنه الكبير أمة العرب ووطنه الأكبر أمة الإسلام، وأن صلاح أحدها مرتبط بصلاح الآخرين لذا نراه يتوجه بالدعاء إلى الله لأن يرعى بعنايته هذا الثالوث العزيز:

يـــا ربّ وارفـــع أمـــة الإسلام
واقـذف بها إلى المقـام السـامـي[3]
حتى تــرى خفـــاقـــة الأعلام
على جميـــع الكـــون بـــالسلام

* * *

ووحّـــد العـــرب فـــإن الوحـــدة
تحيي لها مـــاضيهـــا وعهـــده
تعيـــد بعـــد الانـــدراس مجده
والله لا يخلـف يـــومـــاً وعـــده

* * *

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦

وانظـر إلى الأحقـاف بـالـرعـايـة

وأولها بفضلـك العنـايـة

بـالعلم والأخلاق والهدايـة

فجلِّ عنهـا الجهـل والعمايـة.

ولهذا الحرص على وحـدة العـرب، وهـذا الوعـي بـأن وحدتهم وعزتهم لا تكون إلا بالإسلام، فإنك ترى باكثير يعجب لإقبال غير العرب على الاسلام وانصراف العرب عنه، فيقول في ألم:

رباه هل تبلغ دعوة النبي [٤]

إلى ربى الصين وأقصى المغرب

وتخطىء الدعوة أرض العرب؟!

ولا يمل شاعرنا من التأكيد في كل مناسبة على أن النجاح والفلاح لأمتنا لا يمكن أن يتحقق إلا بالعودة لكتاب الله وسنة رسوله:

لا بدّ من هذا الرجوع إلى الكتاب الخالد [٥]

وإلى هدى المختار والسلف الحكيم الراشد.

---

(٤) المرجع السابق ص ٧٠

(٥) المرجع السابق ص ٢٢

في هذه السن المبكرة التي كتب فيها مسرحية همام كتب أيضاً مطولته الإسلامية التي أسماها «نظام البردة أو ذكرى محمد ﷺ»، وهي قصيدة بلغت أبياتها مائتين وخمسين بيتاً، سار فيها على نهج البردة البوصيرية والبديعيات التي تلتها في مدح الرسول ﷺ، وتمتاز هذه المطولة بأنها برئت من عيوب القصائد البديعية قبلها، إذ جنى البديع في تلك القصائد على الموضوع السامي الذي تدور حوله القصيدة وهو مدح الرسول ﷺ وبيان فضائله وفضائل الشريعة التي جاء بها، فكان اهتمام الشعراء بالبديع وإصرارهم على استيعاب أنواعه يجني على المضمون، ولعل عدم احتفال باكثير بالبديع راجع إلى عدة أسباب منها أنه لم يكن ملماً بعلم البديع إلماماً يجعله محيطاً بأنواعه، وكان هذا في صالحه وصالح الشعر الذي نظمه، ومنها تأثره بشوقي الذي أبدع في مدح الرسول دون الالتفات إلى حشو قصيدته بأنواع البديع إلا ما جاء منه عفو الخاطر ودون تكلف ظاهر، ومنها انصرافه إلى تحقيق دعوته الإصلاحية من خلال المديح النبوي وهو ما يصرفه عن الاهتمام بالبديع وتشعباته وتعقيداته...

ومن خلال المديح النبوي بث باكثير همومه وآلامه التي حملها منذ أدركه الوعي، وقد أدركه مبكراً، فها هو يرى الغرب في تقدم مستمر ويرى العرب في تناحر لا يهدأ

وخصام لا يتوقف، عدوهم متربص بهم وهم عنه لاهون سامدون:

يا رب رحماك إن الغرب منتبه
والشرق مشتغل بالنوم والسأم
والعرب في غفلة عما يهددها
لم تعتبر بليالي بؤسها الدُّهم
يا ويحها تتعادى والعدو على
أبوابها يرقب الأحداث عن كثم
والوقت أضيق والأحداث في عجل
تبني وتهدم والآفات كالديم

وباكثير الذي أحب اللغة العربية حباً خالط دماءه، وعشقها عشقاً امتزج بروحه، يفجعه أن يسمع ما يصمها به الأعداء من عجز وما يصفونها به من قصور، ومما يزيد في آلامه أن يرى نفراً ممن فتنوا بالغرب وحضارته، واستسلموا لآرائه وأفكاره، يتابعونه في العيب على لغتهم والغض من قدرها وقدرتها، فينبري للدفاع عنها، ويحلها المحل الأرفع ويبوئُها المكان الأسمى، وكيف لا تكون في المحل الأرفع والمكان الأسمى وهي اللغة التي استطاعت أن تؤدي رسالة السماء إلى البشر، وهي اللغة التي حفظت للعرب كيانهم وشخصيتهم ووجودهم!

أميَّة مـا حـوت علماً سـوى لغـة
شماء مـا خضعـت للطـرس والقلم
فلم تـزل تترقـى في الصعـود إلى
أن أخـرج الدهـر منهـا أبـدع النغـم
فـاختـارهـا لغـة القـران منـزلـة
والله أعلم بـالأقـدار والقيم
ذاك الكتـاب الذي أحيـا النبي بـه
بقـدرة الله أجيـالاً مـن الرمـم
أقـام مـن يعـرب مـن بعـد شقـوتها
شعبـاً عـزيـزا قـويـاً جـدّ ملتئم

وفي هذه السن المبكرة كان باكثير يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كأديب عليه أن يعمل على نهضة أمته مما هي فيه من تأخر، ويشعر أن سعادته مرتبطة بسعادتها:

إني السعيـد إذا مـا أُمتي سعـدت
حـالاً، وفي ذلها ذُلي ومهتضمـي
إذا أملـتُ ففـي آمـالها أملي
وإن ألمتُ ففـي آلامهـا ألمي

بقيت روافد باكثير الثقافية عربية خالصة إلى أن بدأ دراسته في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً)

في قسم اللغة الإنجليزية، فبدأ يتعرف على الأدب الإنجليزي على أيدي أساتذة من الإنجليز، والانجليز فخورون فخراً جنونياً بشاعرهم شكسبير، فهم لا يدعون مناسبة إلا استغلوها للحديث عنه حتى عرّفوا به العالم كله، وغدا عند كل الأمم أشهر من نار على علم!، وقرأ باكثير شعر شكسبير، فأعجب به، وترجم فصولاً من مسرحية « الليلة الثانية عشرة » بالشعر الموزون المقفى، ونشر بعضاً مما ترجم في مجلة الرسالة الزياتية.

ويبدو أن أساتذة باكثير في الجامعة كانوا يطلعون على نشاطه الأدبي، فكانوا يناقشون معه ما يكتبه وينشره من شعر، ويبدو أن الأساتذة من الانجليز كانوا يحرصون على تلقين تلامذتهم حب اللغة الإنجليزية وأدبها عن طريق إقناعهم بأن لغتهم أعظم اللغات وأدبها أسمى الآداب، وفي درس من هذه الدروس أدعى مدرس انجليزي أن اللغة الانجليزية اختصت دون اللغات الأخرى بالبراعة في الشعر المرسل، وفي محاولة لتفضيلها على اللغة العربية قال، موجهاً كلامه إلى تلامذته، ومنهم باكثير،: ومن المؤكد أن لا وجود للشعر المرسل في لغتكم العربية، ولا يمكن أن ينجح فيها. فقام باكثير معقباً على كلام استاذه ومعترضاً على ادعائه فقال: أما أنه لا وجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح لأن لكل أمة

تقاليدها الفنية، وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية، ولكن ليس ما يحول دون إيجاده في اللغة العربية، فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر.

ويبدو أن الأستاذ الانجليزي أبدى عدم اقتناعه بما قاله تلميذه الشاعر، فعزم باكثير أن يؤيد الكلام بالعمل، فاتجه إلى شكسبير وترجم مسرحية «روميو وجولييت» بشعر هو مزيج من «النظم المرسل المنطلق والشعر الحرّ» كما دعاه في مقدمة ترجمته للمسرحية.

وبعد فراغه من ترجمة «روميو وجولييت» تبين له أن بعض بحور الشعر العربي صالح للنظم في هذا الضرب من الشعر دون غيرها، وهي البحور الصافية، وأن أصلح هذه البحور للنظم المسرحي هو المتدارك، فاختاره لكتابة مسرحية «أخناتون ونفرتيتي»، وكانت هذه المسرحية أول كتابة ناضجة في شعر التفعيلة، وبها سجل باكثير ريادته لهذا الضرب من النظم، ثم ادعاه من بعده قوم آخرون...

وكان لاختيار باكثير لموضوع هذه المسرحية من التاريخ الفرعوني إشارات ذات دلالة على توجهه الفكري، فلا يظنّن أحد أن باكثير قد أغواه الأدب الانجليزي فسلخه عن توجهه الإسلامي، أو أغرته موجة الدعوة إلى الفرعونية في مصر،

وقد كانت ذات أنصار ذوي نفوذ هناك، فامتطى موجتها، فإن الحقيقة غير ذلك، إذ أن في هذا الاختيار تأكيداً لتوجهه الإسلامي، فهو قد اختار من التاريخ الفرعوني فترة حكم فيها أخناتون داعية التوحيد، وقد أوحى لنا باكثير من أول صفحة في المسرحية بأنه ربما كان أخناتون رسولاً من الرسل الذين لم يذكرهم القرآن بالاسم وأشار إليهم في الآية الكريمة: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾، ووضع هذه الآية الكريمة في الصفحة التي سبقت الفصل الأول من المسرحية، ولعل الإشارة البارعة الثانية التي تؤكد هذا التوجه هي بيت الشعر الذي كتبه بعد الآية الكريمة مباشرة، وهو من نظمه، مشيراً إلى أن الفراعنة ترجع في أصولها إلى العرب، وبالتالي فإن من تبقى في مصر من أتباع النصرانية ليسوا عرباً، إنما هم من بقايا المستعمرين الروم:

أبوكم أبي يوم التفاخر يعرب
وجدكم فرعون أضحى بكم جدي

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن باكثير لم يكن في ابتدائه لهذا اللون من الشعر داعية لأن يحل محل الطريقة التقليدية، ولكنه كان يرى أن هذه الطريقة الجديدة أكثر ملاءمة لترجمة المسرحيات عن اللغات الأخرى لأنها مسعفة في هذا المجال أكثر من الشعر التقليدي، وهي أيضاً أنسب للنظم المسرحي

في اللغة العربية للسبب نفسه، ويبقى للشعر التقليدي مجالاته التي لا يصلح فيها هذا النظم الجديد، لذا فقد استمر باكثير ينظم بالطريقة التقليدية عندما يتناول الأغراض الأخرى، ثم نظم مسرحية غنائية باسم «قصر الهودج» بالشعر التقليدي لأنه أصلح للغناء.

ويبدو أن رأي باكثير استقرّ من بعد على أن النثر أصلح للمسرحيات من الشعر بنوعيه الجديد والقديم، فنظم سائر مسرحياته التي أربت على الخمسين بالنثر، وهي مسرحيات أضاف بها باكثير إلى فن المسرح العربي إضافات أصيلة ستبقى ذات أثر بعيد وعميق في هذا المجال على مرّ الأيام.

ويظن المطلع على إنتاج باكثير النثري المطبوع أن باكثير قد انصرف عن قول الشعر بعد تأليفه مسرحياته الشعرية، ولكن الحقيقة غير ذلك، فقد استمر في نظم الشعر والمشاركة في مهرجاناته ومناسباته، فهو شاعر بفطرته، يحب الشعر ويتعشقه، ومن كان كذلك لا يترك الشعر لشيء أبداً، فكيف وقد عاش باكثير في عصر تتزاحم فيه دواعي الشعر حتى لا تكاد تترك فرصة للشاعر الحق يركن فيها إلى شيء غير الكلمة والنغم ينتظمان في سلك واحد ويعبران في صدق وسمو عن الضيق بالأحداث أو الترحيب بها.

كان باكثير مؤمناً بالأمة العربية، وبأنها قادرة على

النهوض من كبوتها، واستلام الزمام مرة أخرى، وقيادة الأمم إلى النور والضياء، إذا التزمت بإسلامها، وتمسكت بقرآنها، وسارت على هدي نبيها... وكان يرى في أصحاب الدعوات الدخيلة وفي اللاهثين وراء الأفكار المستوردة أقزاماً ونكرات لن تلبث الأمة أن تلفظهم وتتخلص من قيودهم التي كبلوا بها أمتهم:

إذا استيقظ العملاق من طول نومه
وراع الورى منه نبي ومارد
فياويل باريس وروما ولندن
ويا ويل قزم بات فينا يعاند
لنا ديننا الأسمى لنا مجدنا الذي
تتيه به الدنيا وتزجى المحامد
خذوا معكم إلحادكم وفجوركم
فليس ينام في ثرانا المفاسد
سنلفظكم من جوفنا ونقيئكم
كما قيء مسموم من الزاد فاسد

ومع هذا الإيمان بقدرة الأمة على النهوض، إلا أن باكثير كان يرى أن التأخر قد طال أمده، وأن شعوباً أخرى أقل من المسلمين كفاية قد سبقتها إلى النهوض، ولعل هذا الضيق بتأخر الفجر عن البزوغ راجع من حرص باكثير ولهفته على

أن يرى بنفسه طلوع الفجر الاسلامي وشروق شمسه الساطعة، لهذا كان باكثير يكثر من حث المسلمين على التحرك ويشير إليهم إلى الطريق الصحيح الذي عليهم أن يسلكوه ليصلوا إلى الهدف المنشود مستغلاً من أجل ذلك كل مناسبة متاحة، فها هو يتخذ من مناجاته لرمضان الكريم، شهر القرآن، وشهر الانتصارات، معبراً لصوته الداعي إلى النهوض:

شهر الهدى أشكو إليك تأخراً
من أهل دينك في الزمان المعلم
فيه الشعوب استيقظت من نومها
فمتى هبوب المسلمين النوّم
جهلوا حقائق دينهم فتأخروا
وجنوا عليه العار إذ بهم رمي.

وفي غمرة اهتمام شاعرنا بأوضاع العرب والمسلمين لا ينسى وطنه الحضرمي، ولكنه يعلم في قرارة نفسه أن نهوض حضرموت منوط بالنهوض العام للمسلمين، لذا فهو يقول:

قلبي به شطران: بين المسلمين
على العموم، وبين شعبي الحضرمي

آسى على مجدٍ لهم متهـــــــــــدمٍ
وَيْحَــي لـــذاك الســـؤدد المتهـــدم

وفي إطار اهتمامه بالقضايا الإسلامية التفت شاعرنا إلى المجاهدين المسلمين الذين يعملون على تحريـر أوطـانهم مـن المستعمرين، ويحملون لواء الدعوة إلى العودة بشعوبهم إلى حكم القرآن.

ومن الشخصيات التي استرعت اهتمامه ونالت احترامه، علال الفاسي، المجاهد المغربي الكبير، ومن خلال تحيته لهذا المجاهد لام باكثير نفسه على تركه للجهاد بالسيف واقتصاره على الجهاد بالكلمة، فعلال الفاسي مجاهد بالكلمة والسيف، فهو شاعر كاتب عالم، ومع ذلك فلم يكتف برفع صوته بعلمه وشعره وقلمه، بل رفع إلى جانب ذلك كله سيفه:

لقد نلت يـا علال مـا رمـت في العلى
وجَـدُّ نـزارٍ بـالـذي نلـت صـاعـد
وشتـان مـا حـالي وحـالـك: حـالمٌ
صريـعُ أمـانيـه، وقـرم مجالـــد
فــآهٍ، كلانـا شـاعـــر، غير أنني
مقيم على ضيم، وأنــــت مجاهــــد!

ولكـن كلانـا دينـه ديـن يعـرب

وفي دمـه سعـدٌ وعمـرو وخـالـد

وأعجب باكثير بالمجاهد الجزائري الفضيل الورتلاني [1]، وكان إعجابه به نابعاً من التقائه معه في الرأي الذي يعتبر الأمة الإسلامية وحدة واحدة أنى جاهدت فيها فقد أديت واجباً، وكان الورتلاني قد شارك في الانتفاضة اليمنية سنة ١٩٤٨ م، ولما انتكست وفرّ الفضيل من اليمن لم يجد له مأوى في البلاد العربية وبقي لأيام عديدة في البحر إلى أن سمح له بالنزول في لبنان، ثم ذهب إلى مصر. في بداية الانقلاب المصري عام ١٩٥٢ م قبل انقلاب العسكريين على الاتجاه الإسلامي القوي في البلاد ويشير باكثير إلى محنة الورتلاني هذه بقوله:

أمسيـت لا أهـل ولا وطـن

وغـدوت لا سفـر ولا نـزل!

لم تقترف جـرمـاً تُـدان بـه

كلا، ولكـن هكـذا البطـل!

إن الفسـاد إذا اعترى بلـداً

فـالمجـرمـون بـه هـم الرسـل!

---

(١) للاطلاع على ترجمة الفضيل الورتلاني يراجع كتاب «الموسوعة الحركية» بإشراف الاستاذ فتحي يكن، نشر مؤسسة الرسالة بيروت. ص٢٩٩.

ويشير في القصيدة نفسها إلى نظرة الفضيل الشمولية إلى الوطن العربي فيقول:

وطـــن العـــروبـــة كلـــه وطـــن
لـــك، ظلـــت بين ربـــاه تنتقـــل
تغشـــاه مـــن بلـــد إلى بلـــد
يحدوه منـــك القـــول والعمـــل
تبغـــي لـــه عـــزاً ومكـــرمـــة
لله، لا غنم ولا نفـــــــــل

وشارك باكثير بشعره في القضايا الإسلامية، ونالت قضية فلسطين الجانب الأكبر من هذا الاهتمام مما دفع الأستاذ سيد قطب لأن يقول في مقال نشرته مجلة الرسالة الزياتية سنة ١٩٤٦ م أن بـاكثير أول مـن أرهـص بمأســاة فلسطين في مسرحه، وأنه أول من تناول قضية فلسطين في الأدب العربي المعاصر تناولاً فيه من الصدق الفني بمقدار ما فيه من الحسّ السياسي والتيقظ القومي.

وكان باكثير يرفع صوته منذراً ومحذراً، وهو صادق في نذيره وتحذيره، فقد أنذر بالمصير الذي ستؤول إليه القضية الفلسطينية، وحذر من أن مصير البلاد العربية مرهون بمصير فلسطين، فإذا ما ذهبت فلسطين ذهبوا!

لا مصرنـــا تبقـــى ولا العـــراق
إن طـــار مـــن يمينـنـــا البراق

لمن؟ لقـوم مــن نفـايــات الأمــم
هــم شرٌّ مظلــوم وشرٌّ مــن ظلم

ويــل لهم يبغـــون بعـــد يثرب
ملكـاً لهم في قلــب أرض يعــرب

أيـــن إذاً محمدٌ أيـــن ذهـــب
إنْ ذُلّ لليهـــود بعـــده العــرب!

وكتب باكثير عدة مسرحيات في سبيل القضية الفلسطينية مبيناً فيها غدر اليهود وخستهم ونذالتهم وأطماعهم، وبلغ عدد هذه المسرحيات أربعاً، «شيلوك الجديد» كتبها عام ١٩٤٤ م وقد تنبأ فيها بقيام دولة إسرائيل، و «شعب الله المختـار» كتبهـا عام ١٩٤٦ م تعرّض فيها لخطـر الهجـرة اليهـوديـة إلى فلسطين، و «إله إسرائيل» حلل فيهـا الوجـود اليهـودي في المجتمـع العربي عبر العصور، وأخيراً «التوراة الضائعة» كتبها عام ١٩٦٩ تعرض فيها للصهيونية والنازيـة والحركـة الفـدائيـة الفلسطينية، وكانت آخر ما كتبه في حياته.

وموقف باكثير الملتزم بالقضية الفلسطينية يذكرنا بالموقف «المخزي» لكتاب آخرين أحللناهم من أدبنا العربي وتاريخنا

الإسلامي محلاً لا يستحقونه، بل يستحقون نقيضه، من أمثال هؤلاء: طه حسين الذي أطلقنا عليه زوراً وبهتاناً وإفكاً لقب: عميد الأدب العربي! وأحمد لطفي السيد الذي دعوناه بأستاذ الجيل! وتوفيق الحكيم وحسين فوزي وعباس محمود العقاد!!! [1]

هؤلاء الأدباء الذين نفخوا في أسمائهم حتى ملؤوا الساحة العربية وشغلوا الناس بهم عن غيرهم من المخلصين لم يكتبوا عن القضية الفلسطينية شيئاً وأحداثها تثير اهتمام العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، وكيف يكتبون من أجلها وهم صنائع اليهودية العالمية ويعملون في صحافتها الصادرة في مصر.. والكاتب الوحيد من هؤلاء الذي كتب عن فلسطين

---

(١) أنظر مقال: تاريخ ما أهمله التاريخ في ملف العلاقات المصرية الصهيونية في مجلة المستقبل السنة الرابعة العدد ١٩٩ : ١٣ كانون ١ سنة ١٩٨٠ وفيه سرد لمواقف هؤلاء المؤيدة لإسرائيل والمناهضة للمسلمين في فلسطين، وفيه أن أحمد لطفي السيد حضر مندوباً عن الجامعة المصرية احتفالات الجامعة العبرية في القدس في الوقت الذي كان فيه المسلمون الفلسطينيون في حداد بسبب افتتاح هذه الجامعة، وفيه أن طه حسين منح اليهودي «إسرائيل ولفنسون» الدكتوراة على رسالة ركزت على إظهار فضل اليهود على العرب! وأنه كان رئيس تحرير مجلة «الكاتب المصري» اليهودية عام ١٩٤٥ م. وفيه الإشارة إلى المقال الذي كتبه العقاد في جريدة الدستور المصرية عام ١٩٣٩ بعنوان: «جاسوسية مكشوفة» يتهم فيه بالخيانة والجاسوسية المدافعين عن قضية فلسطين...الخ.

هو عباس محمود العقاد ليقول بأن المدافعين عن فلسطين هم خونة وجواسيس!

ومما يذكر لباكثير بالحمد والثناء، ومما يجلله بالفخار موقفه من الصلح مع اليهود، ومن الغريب أن نراه يحذر من هذا الصلح قبل أن يفكر فيه أي عربي، بل عندما كان مجرد التلفظ به يودي بصاحبه، ويبدو أن حسّ باكثير المرهف، وتتبعه اليقظ للأحداث التي يشير خطها البياني إلى انحدار حادّ، جعله يتوقع أن يأتي ذلك اليوم الذي يتجرأ فيه أهل الخيانة من رفع أصواتهم بالصلح، فقال محذراً:

لا صلح يا قومي وإن طال المدى
وإن أغار خصمنا وأنجدا
وإن بغى وإن طغا وإن عدا
وروّع القدس وهدّ المسجدا
وشاد في مكانه هيكله الممردا
وشرّد الألوف من ديارهم وطرّدا
وذبّح الأطفال والنساء والشيوخ ركّعا
وسُجّدا
يلتمس العدو صلحنا سُدى
لا، لن يكون سيدا
ولن نكون أعبُدا

كان باكثير عظيم الأمل في نهضة المسلمين، وكان أمله كبيراً في أن يعيش لحظات هذا الانبعاث ليرى بعينيه دولة الإسلام قائمة، وعدله عاماً شاملاً، وعندما تقدم به العمر، ولم تتحقق آماله تطلع لزيارة آخر عاصمة لدولة الإسلام لعله يشفي صدره الذي يتحرق لرؤية مجد الإسلام وعزه برؤية الأمجاد الغابرة بعد أن خاب أمله في أن يرى أمجاداً حاضرة، وقد أفضى لصديقه الشيخ عبدالله بلخير بهذه الرغبة قائلاً: «أريد السفر إلى إسلامبول مدينة الألف مئذنة لأرى معلماً من معالم الإسلام، ولأعيش في جوّ الخلافة الإسلامية»[1].

وحقق شاعرنا لنفسه هذه الامنية، فزار إسلامبول، ومتع نفسه بالعيش في جو الخلافة، ومتع ناظريه برؤية ألف مئذنة تشمخ في سمائها شاهدة على مجد المسلمين، ومتحدية كل الأعداء الحاقدين، وواعدة بفجر قادم بإذن رب العالمين.

وانفعل شاعرنا بهذا المشهد العظيم، فأفرغ انفعاله بقصيدة تغنى فيها بالمجد الإسلامي الذي لا يزال يتحدى بقبابه ومآذنه وكأنها بشائر مجد آت قريب قريب:

كأن قبابها خوذات صلب
وضعن على رؤوس مجاهدينا[2]

(١) رواية الأستاذ عبدالرحمن العشماوي عن الأستاذ عبدالله بلخير.
(٢) عن مجلة المجتمع الكويتية العدد ٢٦٠ ص ١١.

ومــــن ينظـــــر مـــآذنها يجدهـــا
رمــاحــاً في صـــدور الكـــافـــرينـــا

لقـد كـان بـاكثير رائـداً مـن رواد الأدب الإسلامـي المعاصر، وعلماً من أعلامه الكبار، ولهذا وجد شخصه وأدبه من الدارسين صداً ونفوراً وإهمالا، ولا عجب في ذلك، فقد عاش شاعرنا في زمن التبعيـة للأفكـار الوافـدة، والانبهـار بآداب المستعمرين، وسوف يأتي زمان تسود فيه الأصالة في الفكر والأدب، وعنـدئـذ يعـرف النـاس لبـاكثير فضلـه، ويذكرون له ريادته في الأدب الاسلامي، ويحلـونـه المحـل اللائق به بين كبار الأدباء المسلمين.

لقد شعر باكثير بالحصار الذي ضربه حوله أعداء الأصالة وأنصار الذيلية الأدبية، فقال متألماً: «لقد ذبحوني... لقد حاصروني حتى قتلوني»[1].

وفي عام ١٩٦٩ م توفي باكثير وفي فؤاده ألم ممض وأسى عميق، ألم للواقع الإسلامي المرير، وأسى للعقوق الذي جازاه به القائمون على الإعلام في عالمنا العربي.

---

(١) «الحضرمي الاندونيسي شاعر المسرح المصري» للاستاذ كمال النجمي، مقال في مجلة الحوادث اللبنانية.

مؤلفاته في ميدان الشعر:

لباكثير شعر كثير، فهو لم يتوقف عن نظم الشعر منذ بلغ الثالثة عشرة حتى أختاره الله إلى جواره، وشعره منشور في صحف ومجلات كثيرة منها: التهذيب التي كانت تصدر في حضرموت، والأسبوع والرسالة والفتح والجهاد والوادي وأبوللو والمعرفة والثقافة والرسالة الجديدة في مصر، بالإضافة إلى شعر مخطوط لم ينشر في الصحف والمجلات.

ويبدو أن أسرة الشاعر تحتفظ بمجموع من شعره، فقد ذكر الأستاذ محمد أبو بكر حميد أنه حصل على صورة من ديوانه المخطوط المحفوظ لدى أسرة الشاعر، ولست أدري إن كان هذا الديوان من جمع الشاعر نفسه أم من جمع أفراد أسرته، فإن الأمر يختلف، فإذا كان جامع هذا الديوان باكثير نفسه فإننا نطمئن إلى أن الغالبية العظمى من شعره قد جمعت، أو هكذا يغلب على ظننا، وإلا فإننا لا نستطيع أن نؤكد بأن جامعه لم يفته شعر كثير!

ويظهر أن هناك محاولات لطبع جزء من شعره، فقد قرأت في إحدى الصحف بأن الدار اليمنية للنشر في القاهرة وبيروت تعد لنشر ديوان له بعنوان: «أزهار الربا في شعر الصبا» وظاهر من العنوان أن ما تعده هذه الدار للنشر هو

شعره في الفترة الأولى من حياته، ونرجو أن تكون هذه الدار عازمة على طبع الأجزاء الأخرى من ديوانه.

وبالإضافة إلى شعره المخطوط فإن لباكثير أربع مسرحيات شعرية هي:

١ - هُمام أو في بلاد الأحقاف، وهي أول إنتاج أدبي ينشر للشاعر، كتبها عام ١٩٣٣ م، وصدرت طبعتها الأولى عن المكتبة السلفية بالقاهرة عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م، وصدرت طبعتها الثانية عن مؤسسة الصبان وشركاه في عدن سنة ١٩٦٥ م.

٢ - أخناتون ونفرتيتي، كتبها عام ١٩٣٨ م، وصدرت طبعتها الأولى عام ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م، وأصدرت طبعتها الثانية دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٦٧ م.

٣ - روميو وجولييت، ترجم الشاعر هذه المسرحية سنة ١٩٣٧ م، وطبعت آخر مرة في مكتبة مصر سنة ١٩٧٨ م.

٤ - قصر الهودج، أخرجت آخر طبعاتها مكتبة مصر سنة ١٩٧٨ م.

كما ضمن مسرحيته «الشيماء شادية الإسلام» مجموعة من الأناشيد الإسلامية على لسان الشيماء ابنة حليمة السعدية

وأخت الرسول ﷺ من الرضاع، وقد طبعتها مؤخراً مكتبة مصر عام ١٩٧٩ م.

بالإضافة إلى مطولته الإسلامية التي أسماها: «نظام البردة أو ذكرى محمد ﷺ» والتي صدرت طبعتها الأولى عن مطبعة الشباب بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م.

مؤلفاته في ميدان المسرح النثري والرواية.

لباكثير المسرحيات والروايات التالية:

سلامة القس، الفرعون الموعود، واإسلاماه، شيلوك الجديد، عودة الفردوس، سرّ الحاكم بأمر الله، ليلة النهر، مأساة اوديب، سرّ شهرزاد، سيرة شجاع، شعب الله المختار، إمبراطورية في المزاد، السلسلة والغفران، الثائر الأحمر، الدكتور حازم، أبو دلامة، مسمار جحا، مسرح السياسة، الدنيا فوضى، أوزوريس، دار ابن لقمان، قطط وفيران، إله إسرائيل، هاروت وماروت، الزعيم الأوحد، جلفدان هانم، الملحمة الإسلامية الكبرى (ملحمة عمر) في تسعة عشر جزءاً، من فوق سبع سماوات، حبل الغسيل

بهذا العطاء الثرّ كان من الطبيعي أن يكتب تجاربه في ميدان المسرح في كتاب صدر له بعنوان: «فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية».

مختاراتنا من شعره

١ ـ مناجاة أخناتون: لم يكن عهد الفراعنة كله كعهد فرعون موسى، بل كان فيه أيضاً الفرعون أخناتون داعية التوحيد، إلا أن المظالم التي صبها فرعون موسى على المؤمنين والعداء الذي نصبه للنبي موسى ـ عليه السلام ـ وحديث القرآن الكريم عن مواقفه الرافضة لكل دعوة للعدل والخير، جعلت لقب فرعون لدى الناس مرادفاً للظلم والقهر والتسلط والطغيان، ولعل جهل الناس بالتاريخ الفرعوني كان له أثره في ترسيخ هذه الفكرة حتى صاروا يطلقون على كل ظالم ومستبد ومتسلط لقب فرعون.

والدراسات عن أصول الفراعنة لم تؤكد بعد إن كانوا عرباً أم لا، إلا أن المرجح أنهم عرب، ومن المؤكد أن من بينهم من يرجع إلى أصول عربية، فقد جاء في الحديث الشريف أن خير نساء الجنة أربع منهن آسية بنت مزاحم امرأة فرعون موسى، ويدل اسمها على أصلها العربي.

وقد أراد باكثير من تأليف هذه المسرحية إبراز شخصية هذا الفرعون الموحد، والتلميح إلى الأصول العربية لأسر الفراعنة.

والهدف الذي رمى إليه باكثير من وراء عمله هذا هو

الرد على الدعوة التي قامت تنادي بالفرعونية، وهدفها سلخ مصر وشعب مصر عن دينهم وأصولهم، فجاء باكثير ليقول لهم بأن الفراعنة عرب، ومنهم من دعا بدعوة التوحيد، ملمحاً إلى أن الذين يزعمون أنهم من أصول فرعونية ليسوا عرباً، وإذا أرادوا أن يبحثوا عن أصولهم فلا بد أنهم راجعون بها إلى المستعمرين من الروم.

ويهدف اختيارنا لهذا النص من المسرحية إلى التعرف على فكر باكثير الإسلامي من خلال نص مقتبس من مسرحية فرعونية، بالإضافة إلى التعرف على أسلوب باكثير وطريقته في كتابة شعر التفعيلة، إذ كان باكثير رائداً في هذا الميدان، ومن جاء من بعده تبع له وناسج على منواله.

٢ ـ صفيّ وليليان: باكثير كاتب مسرحي، وإذا كنا نكتب عنه كشاعر، إلا اننا لا نستطيع أن نتجاهل فنه المسرحي الذي أبدع فيه حتى غدا رائده في لغتنا العربية، بل إن حديثنا عن شعره دون أن نقرنه بالحديث عن فنه المسرحي يعتبر حديثاً مبتوراً.

وكثيراً ما امتزج فنا المسرح والشعر لدى باكثير، فقد كتب مسرحيات شعرية نشرت واشتهرت، وكان كثيراً ما يصوغ بعض الحوادث بالحوار المسرحي الشعري أو ما نستطيع

أن نطلق عليه القصة القصيرة بالشعر المسرحي، ومنه قصة صفيّ وليليان التي أخذناها كنموذج لهذا الاتجاه عند باكثير.

أما مضمون هذه القصة فهو يتناول قصة رجل عربي تزوج امرأة أجنبية (إنجليزية)، العربي تزوج بالأجنبية إعجاباً بقومها المتقدمين!، وإعجاباً بهم اعتنق الشعوبية، والشعوبية كما تعلمنا الكتب هي التعصب على العرب، وفي حقيقتها بغض الاسلام ومن حمل رسالة الإسلام، والأجنبية امرأة تزوجت العربي لأنها أعجبت بأسلوب الحياة الإسلامية، فأحبت أن تحيا هذه الحياة فتزوجت هذا العربي.

وأعجب ما في هذه القصة أنها تروي موقف المرأة الأجنبية في دفاعها عن العرب في مواجهة موقف العربي الذي أخذ يسفه عقول العرب ويزدري حياتهم، ثم اعتنق الفرعونية وراح يتغنى بها.

وفي النهاية التي كتبها باكثير للقصة تعطينا فكرة أخرى عن حب باكثير لدينه وأهله، واعتقاده بأن مصير هذه الدعوات إلى اضمحلال وزوال، وأن المبادىء السامية لأمتنا لا بد أن تنتصر في النهاية.

٣ ـ صوت الشهيد: في تأبين أحد الشهداء وقف باكثير يزين لأمته حب الاستشهاد في سبيل مبادئها وأوطانها، فالأمة

الإسلامية منذ أحبت الحياة وتوقفت عن الجهاد في سبيل الله، غلبها أعداؤها، فاحتلوا أرضها، وانتهكوا حرماتها، وسفكوا دماءها، والرجال الذين رفضوا الذل والهوان، وقاوموا الأعداء، لم يجدوا من قومهم سوى كلمات الرثاء.

يقول باكثير لهؤلاء: إن الشهداء لا يريدون منكم سوى السير في الطريق الذي سلكوه، فتجاهدوا حتى تتخلصوا من أعدائكم، فتحرروا أوطانكم، وتقطعوا أيدي من يعتدي على حرماتكم، وتوقفوا إراقة دمائكم.

ويرى باكثير أن الشهيد ليس بحاجة للرثاء والتأبين لأنه حي عند ربه في عليين، أما الذين يستحقون الرثاء ويعتبرون في عداد الأموات فهم القاعدون التاركون للجهاد.

مناجاة أخناتون[1]

كيف أثني عليك إلهي؟ بايّ لسان؟
يا من خلق الألوان أفانين شتى
وأرسلها تسري في هذا الكون العجيب!
في السماء وزرقتها، في البحر المحيط
في النجوم ولألائها، في انبثاق الفلق
في سواد الليل البهيم وسود الحدق
في عناقيد العنب السود، في الشعر الحالك الغريب
في بياض الطلع النضيد، وطل الصباح الغريض
في إشراق الدرّ، درّ البحور ودرّ الثغور
في اخضرار غصون الروض النضير
وعشب المرج المطير
في المرجان الزاهي، في اللمى القاني، في العقيق
في ريش الطيور الجميلة، في ألوان الفراش البديع
في أصابيغ الأزهار وأطياف قوس قزح
ربِّ ما أندى كفيك، وما أسخاك بهذا الجمال
ما ألطف صنعك ربّ وأبدع فنك!
هذا الزهر مختلف الألوان، ويُسقى من ماء واحد

---

(١) مسرحية أخناتون ونفرتيتي ط ٢ دار الكاتب العربي بالقاهرة. ص ٦٦

أسُدى يا ربّ خلقت الفراش الجميل؟
أسُدى يا رب خلقت الزهر البديع
أسُدى يا رب خلقت الأسماك الذهبية؟
أسُدى يا رب خلقت النجوم تلألأً في ظلمات الليل؟
والجميل النائم هذا إلى جانبي
كيف ابدعته؟ كيف صورته؟ سبحانك يا ربّ؟
أي معجزة كبرى حليت بها فنَّك!
أي لون هذا الذي يستريح الطرف إليه؟
أي لون هذا الذي لا تشبع منه العين؟
أمزجت أحاسن ما في الألوان فيه؟
أي لون هذا الذي يستصبي العين
فيجعلها قلباً يشعر؟
أي لون هذا الذي يفضي للقلب الوادع
بين الضلوع فيجعله عيناً تنظر؟
فيه من نور القمر الأسكوب[1]
إذا انساب في الروض شعشاعُه من خلال الغصون
فيه من لون ماء النيل إذا ما فاض النيل
فسال على الوادي بخصوبته وغناه
فيه من نور الفجر الوسنان
إذا ما رنّق في أهداب جفون الليل!

---

(١) النور الأسكوب: النور الذي يمتد إلى جهة الأرض.

من نور اليقين إذا ما استيقظ من أحلام الشكوك
ربي هل يعلم هذا النائم أنّ به
قام برهان لك ساطع؟
هل يعلم هذا النائم أن به عُدتَ لي
بعدما كدتَ تذهب عني؟
هذا الحبُّ الغافي: هل يعلم أني
سأَحْطِمُ أصنام الدنيا بيديه الناعمتين؟
وستشرق من وجهه أنوارك في العالمين؟
ربي! لا تسخط عليّ إذا أسلمت فؤادي إليه
ما أعبده يا ربّ ولكن أعبد وجهك فيه
عادني اطمئناني إليك من اطمئناني إليه
وهداني إلى الإيمان بحسنك إيماني بجماله!
كيف أثني عليك إلهي؟ بأي لسان؟
أنت يا من تعلم ما في فؤادي
أما يكفيك صلاة فؤادي؟
أي نور فاض على قلبي فشهدتك في
كل شيء ليس عليك حجاب!
عجباً كيف اسطـاع هذا الجميل الصغير
أن يجعلني كلي عيناً لشهود الجمال الكبير؟

كيف اسطـاع هذا الذي لا يعي الآن شيئاً من صوتي
أن يجعلني كلي أذناً لسماع لغى الأشياء
مسبحة باسمك؟

قصة صفيّ وليليان[1]

لصفـــيّ وليليـــان حـــديـــث
هــو في كــل منتــدى مبثــوث
أنــا نستَقتُــه، كما نَسَّــقَ الروضَــة
بستـــانيّ مِفَـــنٌّ مكيـــث

* * *

هــو مــن مصر، وهــي مــن إنجلترا
لقِنــا الحبَّ مــن ثنــايــا الدروس
ليس بـدعــاً، فــرُبَّ طــالــب علم
عــاد مــن حيـث مـا مضى بعــروس
سعـــــــــــدا مثلما تلألأت الشمـ
ـــة حينــاً ثم اضمحــل سنــاهــا
ملّهــا؟ أم ملّتــه؟ أم هجــرتــه
لســواه؟ أم خــانها لســواهــا؟
ليس هــذا، وليس ذاك؛ ولكـــن
بلغـــت عبرةُ الليـــالي مـــداهـــا

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون. هلال ناجي. مؤسسة المعارف - بيروت ١٩٦٦ م ص ٢٣٨

كـرهـت أن يخون أُمتــه الأسمــرُ،

يـــا للشقـــراء مـــا أغلاهـــا!

لـــن اتمّ الحديـــث هـــا هـــوذا المســ

رح يطفـي السنـــا ويطــوي الستـــارا

أنـــا مـــاضٍ لتسمعـــوا الآن دوني

مـــن صفـــيّ وليليـــان الحوارا

* * *

ليليان:

لا تلمني إذا كفـــــرت بحبـــــك

ليس للحـــب مـــن مكـــان بقلبـــك

آن لي اليـوم أن أفـارقـــك الدهـــر،

عسى أن تحسّ يـــومـــاً بـــــذنبـــك

صفيّ:

أيَّ ذنـــب جنيـــتُ؟ يـــا ليليـــان،

أنـــــــــــا ذاك المتيم الولهان!

لا تكـــوني ديَّـــانتي أنـــت أيضـــاً

فبحسبي هـــــذا الورى والزمـــان

ليليان:

أي ذنب جنيـت؟ يضّـاعـف الذنـب

إذا كنـــت لا تسميـــه ذنبـــا

أي ذنب أجل من أن تعادي
وطناً أنت من بنيه وشعبا ؟
صفي :
لا تقولي إني أُعاديه، إني
إنما أبتغي الفخار القديما
ابتغي أن يعود عهد الفراعيـ
ـن إلينا اذ كان عهداً عظيما
ليليان :
ذلك العهد جزتموه قرّونا
ولبثتم من بعده أحقابا
وتبدلتمو طرائق شتى
وغدوتم لغيركم أذنابا
ثم جاء التحرير حكماً وديناً
ولساناً وأُمة وكتابا
فطلعتم على العوالم عُرباً
لذُرى المجد تمتطون العِرابا
فملكتم من الشعوب رقابا
لتفكوا بالفتح تلك الرقابا
صفيّ :
إن هذا الذي تسمين تحريراً
أُسميه غزوة واغتصابا

هــل تمدُّ الصحـــراء إلا سرابـــاً؟
هـل تشيـد الصحـراء إلا خـرابـا؟

ليليان:
قسماً للـــذي تقـــول هـــراء
زينتـــه لعقلـــك الأهـــواء
ونمتـــه في قلبـــك البغضـــاء
وتـــولتـــه فكـــرة رعنـــاء
أتلام الصحـــراء أن انجبـّــتْ ذا
ك الذي أشرقـــت بـــه الظلماء
أنـت روح الوجـود يـا صحـراء!
فـاسلمـي للـوجـود يـا صحـراء!

صفيّ:
قسماً قـد خُـدعـت يـا ليليـان
إنها العـــاطفيَّـــة المفتـــانُ
لـــوثـــة يُبتلى بها الإنســـان
يغلـــب العقـــلَ دونها الوجـــدانُ
فـالصحـارى حـدائـق وجنـان
والحضـــارات محوهـــا بنيـــانُ
والبطـــولات جـــولـــة وطعـــان
فـــاذكـري مـــا يـــردد البهتـــانُ

حين قـــالـــوا أميـــة وبيـــان
كيـف مـن ضرعهـا يـــدرُّ البيـــانُ؟

ليليان:
لا تحاول مثــل القــديم خــداعـــي
إني اليـوم قـد عـرفـت الصــوابـا
قـد درسـت التـاريــخ فصلاً ففصلاً
ثم فقــه اللغــات بــابــاً فبــابــا
لم أجـد في الشعـوب كـالعـربّ أخلا
قــاً وفصلاً وهمـــة واحتســـابـــا
لا، ولا في اللغـات كـالضـاد حُسنـاً
وكمالاً وروعـــــةً وشبــــابـــــا
هـي أم اللغـات لا يـذكــر الدهــرُ
صبــاهــا ومــا تــزال كعـــابـــا

صفيّ:
هــذه يــا ليلي هـــي العـــاطفيـــة
قـد أضلتـك بـالــرؤى السحــريـة

ليليان:
مـا الذي يـدعــوني إلى العــاطفيــة
وأنـــا عـــن ديـــاركم أجنبيـــة

يشهـــد الحق أن هـــذا هـــو الحق

بلا إحنـــــة ولا عصبيـــــــة

إنما أنـــت يـــا صفـــي ضحيـــة

للشعـــوبيـــة الحقـــود الغبيَّـــة!

صفيّ:

قـــــد تجاوزت ليليــــان الحدودا

وتنـــاسيـــت حبنـــا والعهـــودا

أيـــن ميثـــاقنـــا الذي نحن أقسمـ

ـناه في «هـايـد بـارك» ألا نحيـدا؟

أنـالم أُخـف عنـك بغضي لقـومـي

وشعـــوبيتي التي لـــن تبيـــدا

فلماذا لم تـــــــرفضيني؟ إذن لاخـ

ـترت أُخـرى تـوليني التـأييـدا

ليليان:

كـان ظني أن الذي بـــك سخـــط

يملأ العــــاشقين للأوطـــــان

مـا تـوهمـت أنـه حقـد مـوتـو

رٍ يعـاني مـن قـومـه مـا يعـاني

يتلــوّى تلـــوي الأُفعـــوان

ويبـــثّ السمـــوم دون تـــوان

يتمنـى لـو راح في الطـوفـان
كـل مـا عنـد قـومـه مـن معـاني!

صفيّ:
ذاك مـا كـان يبتغيـه بنـو قـومـك
إذ كـانـوا يحكمـون بلادي
منهـم اخترت زوجتي كـي أراهـا
تتبنـى جهـادهـم وجهـادي

ليليان:
إن هـذا الذي تسمـي جهـاداً
لهو عنـدي خيـانـة قـوميـة
أنـت أخطـأت في اختيـاري صفيَّـة
لست جـاسوسـة ولسـت مطيَّـة
هـدفي أن أكـون زوجـاً وفيـة
ثم أمـاً لأسرة عـربيَّـة

صفيّ:
أو مـا زلـت تـأملين
بعـد عشر مـن السنين
في ذراريّ تنجبين
مـن بنـات ومـن بنين

ليليان:

إن عشراً مـــــــــن السنين
في الحزازات ينقضين
ليس مستغـــــربــــــاً إذا
هـــنّ بـــــالعقـــــم ينتهين

صفيّ:

ها إذن قد ضجـرت مـن عـدم النسـ
ـل، فهلا صـارحتني بـــالحقيقـــة
لســت تــدريــن أهــو مني أم منـ
ـك، فلا تعجلي بنقـــض الوثيقــــة

ليليان:

ليس عنــدي وليس عنــدك عقـــم
هكـــذا قـــرر الطبيـــب، الخبير
بـــل هـــو الله رحمة بي كفـــاني
خلفـــاً منـــك حبلـــه مبتـــور
هـــاجـــر وُدّ أهلـــه مهجـــور
نـــاكـــر فضـــل قـــومـــه منكـــور
إن يمُت فهــــو حسرة وثبـــور
أو يعش فهــو عقــربــان يــدور!

صفيّ:

أفعوان ونسله عقربان
أي حقد تطوين لي في الضلوع؟
لم عاشرتني إلى اليوم؟ هلا
كنت عاجلتني بذا التوديع؟

ليليان:

لم أعاجلك، إنني كنت أرجو
أن أرى منك عن هواك عدولا
غير أني يئست من رشدك اليو
م، فودعتك الوداع الجميلا

صفيّ:

أقصري أقصري، فإنك ما أحـ
ـببتني قط... كان حبك مَيْنا
فاذهبي لن آسى على حبك الكا
ذب يوماً، ولن أُؤرّق عينا

ليليان:

لا وربي لقد منحتك يوماً
كل شيء من مهجتي للمجرّة!
منذ أعطاني ابن عمي عن العُر
ب كتاباً طالعته غير مرة

فتشوقت أن أعانق حلو العيش في
ظل ناظريك ومرّه
واقترنا فكنت للقلب بردا
وسلاماً وكنت للعين قرّة

صفيّ:
إن هذا لو كان حقاً لما أز
معت هجري لتلحقي بابن عمك
منذ جاءت رسالة منه مين ميـ
ـلان أمسى لقاؤه كل همك
فاذهبي، اذهبي إليه بميلان
وبوئي بإثمه وبإثمك

ليليان:
قد لعمري أعمتك غيرتك العمـ
ـياء عما بيني وبين ابن عمي
انت لولاه لم يكن لك في قلـ
ـبي مكان او يقرن أسمك باسمي
فهو أُستاذي الذي حبب العر
ب لقلبي فأصبحوا كل همي
كان حقاً يريدني، غير أني
ملت عنه إليك، يا سوء نجمي!

صفيّ:

اذهبي استـأنفـي وإيـاه مـا انبـ
ـتّ من الحب عند مأتى الغريب

فلقد نلت من غريبك أوطا
رك، فلترجعي لحضن الحبيب

ليليان:

لم تكن يومذاك عندي غريباً
كنت عندي نعم الحبيب القريب

ثم ما زلت تشتمّ العصرب حتى
أنت عنهم وعن فؤادي غريب

فابن عمي أحق منك بي اليو
م، كلانا بحبهم مجذوب

* * *

ذاك ما كان من حديث الشعوبي صفيّ وزوجه ليليانا.

فارقته فجن في إثرها يهذي:
اقتلوها، اقتلوه في ميلانا

ومضى هائماً يفرُّ من الصبيان
خوفاً، ويُفزع الصبيانا

واحتمى بالأهرام يرجو ملاذاً
من خيالاته، ويبغي أمانا

وإذا صـوت ذاكـرٍ يـذكـر الله
وتـالٍ يـرتـل القـرآنـا !

* * *

وأتـت وابـن عمهـا بعـد عـام
قضيـاه في ظـل حلم بهيـج
أتيـا يقضيـان شهـرهما في
جـولـة مـن محيطنـا للخليـج
وبمصر تيمها قبر ثـاوٍ
ودَّ لو وسّـدوه بين الثلـوج !
وقفـا واجمين، ثم انبرت تبـ
كـي مليـا بعبرة ونشيـج
لصفـيّ وليليـان حـديـث
هـو في كـل منتـدى مبثـوث

* * *

أنـا نسقتـه كما نسَّـق الرو
ضـة بستـانيّ مِفَـنّ مكيـث
سقتـه عبرة لأبنـاء قـومـي
وقـوى الهدم سيرهـن حثيـث
ليصـونـوا تـراث أمتنـا مـن
كـل بـاغ فيما نصـون يعيـث

صوت الشهيد [1]

فيم احتشادكم هذا لتأبيني
أنتم أحق بتأبين الورى دوني
فما الشهادة إلا ميتة كرمت
عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إني نزلت بدار الخلد في رغد
بين الخمائل فيها والرياحين
في جنة ما بها خوف ولا حزن
لولا رثاء لحال العرب يشجيني
قامت عليهم وحوش البغي قاطبة
من ثعلبان ومن دب وتنين
فما انتظاركم والحق حقكم
يُعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكاماً في مجامعهم
بل استردوه قسراً في الميادين
والمسلمون جميعاً من ورائكم
بأندونيسيا وباكستان والصين

(١) شعراء اليمن المعاصرون. ص ٢٣٥.

لا تنـدبـوني فـإني لم أمـــت ضرعـــاً

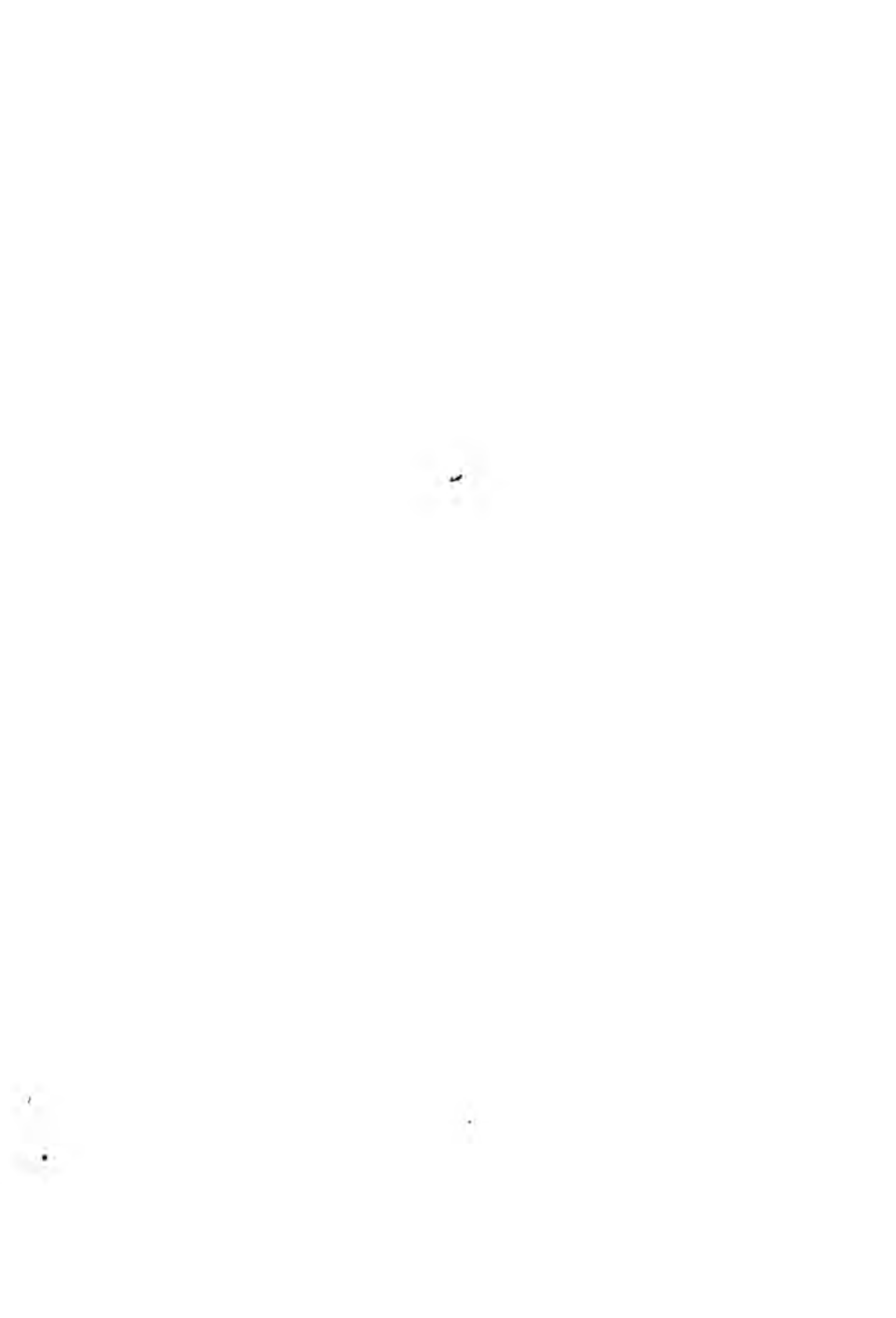
فـــإن علمتم عليّ الذل فـــابكـــوني

وإن تـريـدوا لـوجـه الحق تكـــرمتي

فـابغـوا الشهـادة للـدنيـا وللـديـــن

فابـن الوليـد على اليرمـوك يـرقبكـم

وليـــث أيـــوب يـــرعـــاكم بحطين



محمد محمد التاجي

حياته:

ولد الشاعر محمد محمد أحمد التاجي عام ١٩٢٥ م في جزيرة شندويل بسوهاج في جمهورية مصر العربية، وتلقى تعليمه في معهد أسيوط الديني ثم التحق بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وحصل على الشهادة العالية لكلية اللغة العربية عام ١٩٥٣ م ودبلوم معهد التربية العالي للمعلمين عام ١٩٥٤ م.. وعمل في التدريس وتدرج فيه حتى أصبح موجهاً للغة العربية بالتعليم الثانوي بمديرية التربية والتعليم بالمنيا.

وكانت الفترة التي قضاها التاجي في الدراسة تنبض بالحركة والنشاط.. وكان شباب الحركة الإسلامية في مصر يملئون المدارس والجامعات حيوية ونشاطاً.. يجمعون الشباب على مبادىء الحق ويربونهم على الخلق القويم ويغذونهم بالفكر السليم..

وتربى التاجي مع هؤلاء الشباب وعاش معهم حياة الأخوة الصادقة وشاركهم نشاطهم الحيّ.

وعـاش التـاجـي مـع الحركـة الاسلاميـة في فترة مليئـة بالأحداث..

ففي مصر عاش فترة الصراع الدامي بين الشعب المصري المسلم وبين الانجليز المستعمرين الذين كان يجثمون على صدور الناس فيسلبونهم حـريتهـم ويحرمـونهم مـن التمتـع بخيرات البلاد..

وفي عام ١٩٥١ م عندما قامت الحكومة المصرية بإلغاء المعاهدة مع الحكومة البرّيطانية، وبدأ سـاسـة مصر يخطبـون ويكتبون والناس يهتفون ويصفقـون ويعقـدون الاجتماعـات ويفكرون في إعداد أبناء الشعب لمقاومة الاحتلال.. في ذلك الوقت حين جدّ الجدّ، ولم يعد الجهاد هتافاً وتصفيقاً، بل عملاً وتضحية، ولم يعد الكفاح دعاية وتهريجاً، بل فداءً واستشهاداً.. لم تجد مصر إلا شباب الحركة الاسلامية مدربين للكفاح، مستعدين للفـداء، عـازمين على الاستشهـاد. لقـد تركوا غيرهم يخطبون ويكتبون.. أمّا هم فذهبوا فعلاً إلى ساحات الجهاد.. ولقد تركوا غيرهم يجتمعون وينفضون، أما هم فقد حملوا السلاح ومضوا صامتين، ولبّوا منذ اليوم الأول داعي الجهاد.. وخاضوا حرباً ضروساً ضد قوات الاحتلال البريطانية في عام ١٩٥١م وحتى عام ١٩٥٤.. هؤلاء الأبطال الذين ساقـوا الحريـة لأمتهـم استشهـد منهـم مـن أستشهـد

وإنسحب الباقون في تواضع ليأخذوا أماكنهم وراء قضبان السجون وأسلاك المعتقلات!!

وفي فلسطين عاصر التاجي الفترة التي عملت فيها قوات الاستعمار البريطاني على تسليم فلسطين لليهود.. وعاصر قيام الحرب الوهمية عام ١٩٤٨ م بين يهود والدول العربية.. وشاهد شباب الحركة الاسلامية يتدفقون على أرض فلسطين لتطهيرها من الصهيونية الباغية.. ولكن المؤامرة كانت محكمة فانتهت بقيام دولة لليهود في فلسطين.. وسيق شباب الحركة الإسلامية من أرض المعركة إلى السجون والمعتقلات!!

وتوالى الصراع.. وفي غفلة من الأمة العربية اغتصب اليهود الأقصى وما تبقى من أرض فلسطين واحتلوا سيناء والجولان عام ١٩٦٧ م، وفتحت كبرى العواصم العربية أبوابها لليهود ذلة وخنوعا..

لقد عاصر التاجي تلك الأحداث وعاشها بعقله وفكره وقلبه ووجدانه، ونطق بها لسانه وسجلها قلمه.. ونشرت الصحف والمجلات المصرية عدداً من قصائده.. نذكر من هذه المجلات الرسالة والرسالة الجديدة والاخوان المسلمون والأهرام ومجلة الإذاعة.. كما أذيع عدد من قصائده الوطنية في إذاعة القاهرة وإذاعة الاسكندرية.

إنتاجه الأدبي:

١ ـ «شوقي.. ما له وما عليه» ـ دراسة أدبية.

٢ ـ «شعراء المهجر تحت المجهر» ـ دراسة أدبية تحت الطبع.

٣ ـ «تحت ظلال الحب» ـ مسرحية شعرية ـ دار النشر بأسيوط ١٩٤٧ م.

٤ ـ «رحلة قلم» ـ ديوان شعر تحت الطبع.

شعره:

الأستاذ التاجي أديب تربىّ في ظل الحركة الاسلامية المعاصرة منذ بزغ فجرها في مصر، وشاعر التزم المنهج الإسلامي.. وعاش مع إخوانه حياة نضّرت وجه عالمنا الشاحب، وغرست في أرضه المقفرة أنبل معاني الحياة، فأورقت.. حبّاً بالله، وصبراً بالله، وجهاداً في سبيل الله.. واشترك في كثير من النشاطات الفكرية والوطنية وصاغ شعره دفاعاً عن قضايا أمته ووطنه..

فهو يرى أن للأدب رسالة في هذا الوجود وأنه لا قيمة للكلمة إن لم تعبر عن مشاعر صاحبها.. ولا قيمة لها إن لم تهز القلوب وتحرك النفوس وتوقظ النيام.. فيقول:

لا كُنـــت لي يـــا قلمـــي
إنْ لم تُبن عــــن ألمي
إن لم يكـــن مـــدادُكَ السّـــمَّ
الزعـــاف أو دمـــي
أو ســـوف لـــن ألقـــاك في
يـــدي ســـوى محطّـــم
هـــذي شجـــوني خلـــف سجـــنٍ
مـــن ضلـــوعـــي مظلم
كـــم ضـــاقَ عـــن صّخّـــابها
صـــدري ولم يُفْصـــح فمـــي
فهـــل أراك مُسْعـــدي
بصـــارخـــات الكلم؟

وهو يرى أيضاً أن الكلام وحده لا يكفي.. فكما أن للكلمة دورها المثير.. فإن للقوة دورها الخطير لإحقاق الحق وحماية الذمار والأوطان ومجالدة الظلم والطغيان.. فيقول:

لا.. لن يـردَّ القـولُ عـاراً فـاسترح يـا قلمـي
أمْسـكْ.. تنـحّ جـانبـاً لقــاذفــات الحُمَـم
الرأيُ رأيُ الحرب لا رأيُ الخيـــال الملهـــم
فكـل مـا لم تُمـض فيـه حكمهـا لم يُحْسَـمِ

ولما قام اليهود بحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٨ م انتفض الشاعر لهول الجريمة.. وثار من أجل القدس والأقصى.. فجاءت قصيدته التي بعنوان « كلمات محمومة » لتعبر عن الأسى الذي اعتصر قلبه وتدعو إلى غضبة الأحرار والثأر من الغاصبين.. فقال فيها:

تفجَّري تفجّري.. مسعورةً وزمْجري
وفجّري حُرَّ البيان.. ثورة في أسطري
وانطلقي كالماردِ المجنون عَبْر الأعصرُ
شُقّي الدُّجى وحطّمي قلاعه.. ودمّري
هُبّي سَموماً أو رُجوماً في الرياح الصرصر
وأمطري الدماء والفناء أو لا تمطري
وألبسي فيحَ الرُّبى.. صَمْتَ اليباب المُقْفِر
تفجري يا غضبة الأحرار هوْلاً واثأري
لن تعذري في منطق العلياء.. حتى تثأري

وطالب الأمة الإسلامية ألا ترحم أعداء الله وأن تدكّ حصونهم وتطهر أرض الإسراء من رجسهم فقال:

لا رحمة لا شفقةْ.. حث الردى وفَيْلَقَهْ
وازحم سماء الشرق من دهم الغواشي المطبقةْ
وصُبَّها صواعقا.. قاتلةً لا مُحْرِقَةْ

وافتِل من الأحقاد للأوغاد حبل المشنَقة
دعهم حطام قصة أو جيفة ممزّقة
لن يعجز الإيمانُ أن يدُكَ حِصْنَ الزندقة
والشمس لن تعيا بمُرَيِّد الدجى أن تمحقه
يا شرقُ إن القدس أضناه الأسى وأرَّقَهْ
هيا انطلق كالسيل واطو الليل جياش الثقة

ويرى شاعرنا أن أمتنا في هذا العصر قد تنكبت للمجد وعاشت مع الجهل وحاربتّ العلم فوقعت في مستنقع الخنا واحاطت بها المآسي وعمّتها البلوى وغشيتها الغفلة.. وأصبحت لا تقدّر عِلْماً ولا تحترم معلما ولا تبجّل عالما..

قال في قصيدة بعنوان «مفارقات... في حياة المعلم»:

تلك القوافي المُرْسَلَة.. بأدمعي مُبَلَّلَةْ
تحكي فصول قصة.. في حاضري مُمَثَّلَةْ
أو شئت قُلْ: مأساة جيل غافل.. أو مهزله
هل ثَمَّ شعبٌ ما لربِّ العلم فيه منزله؟
كأن بين الجهل والعلياء عَهْداً أو صِلَةْ
حقيقة مدعومة بصارخات الأمثلة
زُرْ معهداً وانظرْ أخا التعليم أو زُرْ منزلَةْ
فيه ترى العرفانَ والحرمانَ حَلاَ هيكله

وثَمَّ شيءٌ من حطام لا يساوي خردله
وطُف بملهىً وتأمّلْ هذه «الممثّلةْ»
بالأمس كانت خادماً في أسرة مبتذلة
واليوم.. نجمٌ في سماء الفن فوق الأخيله
في ناعم الأضواء تنساب وفي دِفْءِ الوَلَةْ
ممشوقةً مشوقةً مرموقةً مبجّلة
والعالم النحريرُ يقذي العين... يا للمهزلةْ!

ولكن شاعرنا يرى أن هذه الغفلة وهذا البلاء الذي أحاط بأمتنا لا بد أن ينتهي.. فما بعد الظلمة إلا الصباح وما بعد الشدة إلا الفرج وما بعد الغفوة إلا الصحوة.. فنراه يقول في قصيدة بعنوان «ميلاد فجر»:

صحت الحياة وضيئة الأنغام صافية النشيدْ
رفّ الحنان بثغرها النشوان للفجر الوليد
نهضتْ على أُسِّ اليقين وفي حمى الحق الرشيد
الفجر يهتف عالياً في بوقها العالي المديد
الله أكبر... لا حياة ولا كرامة للعبيد

إلى أن يقول:

دَعَتِ الحياةُ فخفَّ عن مَغْفاه يستبقُ الحياةْ
نفضَ الكرى.. وبقية الحلم الهنيء تضيء فاه

قد كان يحلم بالصباح وبات يمرحُ في سناه
حتى دعاه.. فهبّ يحتثُّ الخطا لما دعاه
ألقى عباءته على كتفيه واستدنى عصاه
ومضى ـ كعادته ـ يريد الفجر مشبوباً هداه
هذا الطريق.. وكم تباعد مبتداه ومنتهاه
الأمن والإيمان قد سبقا خطاه وقرّباه
حتى أتى باب المصلّى فانحنى لعلا الإله
وقضى المنى ومضى يسبح بالصباح وبالحياه

مختاراتنا من شعره:

١ ـ «أخي».. قصيدة نظمها الشاعر عام ١٩٥١ م لتكون تحية متواضعة منه لإخوانه شهداء معارك قناة السويس.. أولئك الشباب الذين ضربوا أروع الأمثلة في قتال الأعداء المستعمرين.. وعلّموا شعوب الأمة دروس القتال.. أولئك الشباب الذين عرفوا معنى الجهاد ففروا إلى الله تاركين متاع الدنيا فتقبلهم الله عنده وجعل منازلهم في عليين.

٢ ـ «على هامش الإسراء».. قصيدة نظمها الشاعر عام ١٩٦٨ م في ذكرى الإسراء عقب النكبة التي حلّت بأرض الإسراء والتي ولّى فيها العرب الأدبار أمام يهود.. هؤلاء العرب الذين استبدلوا الباطل بالحق والرذيلة بالفضيلة ورفعوا

شعارات القـوميـة المزيفـة وسـاروا وراء العصبيـة المنتنـة.. فتزلزلت الأرض من تحتهم وترنحوا من الضربة الأولى فولّوا مدبرين.. تاركين أرض الإسراء فريسة بأيدي يهود.

٣ - «وقفة مع هلال المحرم».. قصيدة نظمها الشاعر عـام ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م. وقـف فيهـا مـع بـدايـة العـام الهجري.. يحاسب نفسه ويندب أُمّته.. يكاد لا يصدق ما يرى وما حلّ بقـومـه الذيـن صـاروا عبيـدا للمال.. عبيـدا للغواني.. إنها وقفة حساب وّعتاب.. ونصيحة شاعر عرف العزة والمنعة بالإسلام.. فدعا قومه لاتّباعه والسير على منهاجه ليبزغ فجرهم من جديد ويعود إليهم سالف عزهم..

أخي

أخـــي. في فـــؤادي وفي مسمعـــي
وفي خـــاطـــري أنـــت والأضلـــع
تـــرنَّمْـــتُ بـــاسمـــك في خلـــوتي
رخيم الصـــدى ساحـــر الموقـــع
أخـــي في ظلال المنـــى أنـــت لي
نـــديمٌ. وفي العـــاصـــف الزعـــزع
أخـــي في حنـــايـــاك يجري هـــواي
وروحـــك في الكـــون تسْـــري معـــي
أخـــي. إن بسمـــتَ فعـــن مبسمـــي
وإن أنـــتَ نُحْـــتَ فمـــن أدمعـــي
أخـــي فيـــك أُبصرني مـــاثلاً
وحيـــث انتبـــذْتَ أرى مـــوضعـــي
أخـــي. إن تـــراءى لعيني الصبـــاح
تبيَّنْـــتُ نـــورك في المطلـــع
أخـــي إن أرقـــتَ وراء الدجـــى
نبـــذتُ مهـــادي ولم أهجـــع

أخـي. مـا فتئتُ على مـا عهـدتَ
وعـن صـدق وُدّك لم أرجـع
أخـي لـن أحِسَّ بما لا تحِسُّ
ولسـتُ بـواع سـوى مـا تعـي
أحِسُّ بنجـواك في الضـارعين
وتُصغـي لنجـواي في الـخُشَّـع
وأرقُـبُ دمعـك في السـاجـديـن
يسـابـق دمعـي في الركّـع
أخـي. أنـا أنـت. فمـنْ منهـلٍ
سُقِينـا الحيـاة ومـن مَشْـرَع
أخـي. أنـا أنـت. فـآمَـالُنَـا
وآلامُنـا فِضْـنَ مـن منبـع
أخـي. نَغَـمٌ أنـتَ يحلُـو بـه
فمـي. ويَهَشُّ لـه مسمعـي
كلانـا إلى الهول بـارى أخـاه
وخلـف أخيـه لـدى المطمـع
أخـي في الرخـاء أخـي في البلاء
أخـي في المطمئـن والمفـزع
غـريبـان نحن بهذا الوجـود
كما اغترب الزهـرُ في البلقـع

أخـــي. إنْ تـرامَـتْ بــآبــائنــا
شكـــوكٌ مـــن الدور والأربُـــع
ولاحــــــت مبعثرةً في الفضـــــاء
هنـا مـوضـعٌ شـطَّ عـن مـوضـع
فما نحن إلا رعـــــاةُ الحيـــــاة
وكـــلٌّ يميـــل إلى مَـــرْتَـــع
أخـي. لــن يضيرَ تنـائــي الرعــاة
إذا مــا تلاقـــوا لـــدى المرجـــع
أخـــي قــد تلاقَــتْ على بُعْــدهــا
شتــــــاتُ الخواطــــــر في مجمع
وحـــول بســـاط الهدى ضمَّهـــا
هيـــامٌ إلى ظلـــه الممــــرع
أخـــي. إنـــه الحق صُنْـــعُ السماء
وإلهام بـــــارئهــــا المبــــدع
حيــاتـــك حَبْسٌ على صـــونـــه
ودون المســـاس بـــه مصرعـــي

أخـــي. إنَّ عَصْــرك عصرُ القــويّ
وعصرُ القــذيفـــةِ والمدفـــع

أرى الغـرب فيــه استقــل الفضــاء
وطـــار بـــأجنحـــةٍ أربـــع
أذلَّ الحديـــدَ على بـــأســـه
وأرغـــم جـــامـــده أن يعـــي
وكم خـــارقٍ فـــوق بـــاع الخيـــال
تجلَّـــتْ بـــه قـــدرةُ المصنـــع
هـــو المجـــد دون يـــد الطـــامحين
ورجـــمُ الظنـــون مـــن القنـــع

أخـــي. حُـــثَّ ركبـــك إن الزمـــان
عـــدوٌّ البطـــيء أخـــو المسرع
أخـــي. مـــزّق الليـــل إن الصبـــاح
إذا أنـــت أشفقـــت لم يطلـــع
أخـي. خُـذْ مكـانـك فـوق النجوم
وقـفْ أنـت والشمسُ في مـــوضـــع

عَلَى هَامِشِ الاسراء

- ١ -

وحدي مع الليل بل وحدي مـع الأرق
حيران أنـــزفُ آلامـــا على الورقِ
أقلّبُ الفكـر خلـف الليـل. مـرهفـةً
في صَمْتِهِ أذني. في جنحـه حـدقـي
لا شيءَ في شاطيء الأفق البعيد سـوى
نجم بعيــدٍ تبــدّى راعشَ الألـــقِ
طـال السفـــارُ بـــه مثلي. وأفــزعــه
ظلُّ الدجى فاحتمَى في خيمـة الأفـقِ
كــأنـــه بـــل كـــأني زورقٌ نَـــزِقٌ
ألقـــى بـــه قـــدرٌ في لُجـــة القلـــقِ
نـاءٍ عـن الشـط مـوهـــون الشراع ولم
يَعُدْ بمجـدافـه الواهـي سـوى رمَـقِ
أيّانَ يـرسـو؟ وهـذا الليـلُ في حنـقٍ
لَفَّـتْ عبـاءتُـه الشطـآن بـــالغَســـقِ
وأيـن منـــه صبـــاحٌ بـــات ينشـــده
وراح يـرصِـدُه في ظلمـــة الطـــرق؟

يـا رائـد الفجـر إنّ الفجـر في سِنــةٍ

فـإنْ تَـوانَيْـتَ لم ينهــضْ ولم يُفِــقِ

عَبِّىءْ له العزم واهتـف مِـلْءَ مسمعـه

لا بُـدَّ لليـل مهما طــال مــن فلــقِ

- ٢ -

في خاطـر الليـل في مَسْرى كـواكبـه

خَطَّ الزمـانُ عـريـق الذكـريـاتِ بِـهِ

سِفْراً تَرَى الكونَ سَطْراً في صحـائفـه

وتُبْصِـرُ المجــد فصلاً في جــوانبــه

كـان السنـا كَلِماً في عَيْــن قــارئــه

كـان السنــا قلماً في كــف كــاتبــه

تلــك النجماتُ تــروي عــن ملاحمه

عَبْـر السنين، وتحكــي عــنْ تجاربــه

وقـائـعٌ وقــف التــاريــخ يُكبرهــا

بــل يُكبر الحق في عُلْيــا مــواكبــه

في ليلــةٍ لــو أراد الدهــر مفخــرة

كانت ـ وما بَرِحتْ ـ أسمـى منـاقبـه

طـاف الهدى بحواشي الليــل مغتبطـا

يـرقـرق النـور للهـادي وصــاحبــه

هــذا نبيُّ الهدى تــاه البراقُ بــه
وذاك جبريــل يحدو في ركــائبــه
حتى احتوى المسجـد الأقصى رحـالها
فـأدَّيَـا للـمُصَلَّـى بعــض واجبـه
كـان الملائـك جُنْـداً في حــراستـه
والأَنبيــاءُ ضُيُــوفــاً في مــآدبــه

- ٣ -

حـاشـا لـذكـراك يـا إسراءُ نسيـانُ
فـأنـتِ أنـتِ لِسِفْـر الدهـر عُنْـوانُ
ذكراك بالأمس كـانـت في فمـي نغماً
واليـوم... شجْـوٌ وآهـاتٌ وأحــزانُ
في أضلعي ثورة ضجَّـتْ فضـجَّ دمـي
حقـداً. وثَـارَ وراء الصـدرِ بـركـانُ
سهْـمٌ أصـاب مــن العليــاء مَقْتلهَــا
غـدْراً. ودمــع بجفــن الحق هتَّــانُ
لكـل فــاجعــة في الدهــر سُلــوان
ومـا لنكبـة أرض القــدس سُلــوانُ
هـذي مــآذنــه خــرســاءُ ذاهلــة
فلا أَذانَ ولا في النــــــاس آذانُ

بكى الـمُصَلّى جباهَ الساجدين بـه

وناح في جانـب المحـراب قـرآنُ

بيْتٌ مشى أمس في سَاحَاتِـهِ عُمَـرٌ

فكيـف يمرح فيـه اليـوم (ديّانُ)!؟

الويـل لِلشرق إنْ لانـتْ سـواعـده

أو عـاقَـهُ دون نصر القـدس خـذلانُ

دعْ كل صوت سوى الهيجـاء نـاحيـةً

فكـل صـوتٍ سـوى الهيجـاء بُهْتَـانُ

- ٤ -

لا كُنْتَ يا شرقُ يوماً للكـرام حِمَـى

إن أنْـتَ لم تنفجـرْ في غَضْبَـةٍ حُمَماً

كن الردى. واركب الأجواء صـاعقـةً

والأرض نـاراً. وأمـواج البحـار دمـا

فـالحر يغشى حيـاضَ الموت كـالحةً

ولا يـودُّ نعيم العيش منهـزمـا

تـأبـى العـروبـة أن تلقـاك مُنْتَسبـاً

لها ولم تنـزل الأهـوال مقتحماً

هـذا عـرينُـك. لكـن أيـن هيبتُـه؟

والليـثُ ليـثٌ فتِيًّـا كـان أو هَـرِمـا

فيم الوجوم؟ تقدّمْ غاضباً حنقاً
عَبْر الخطوب.. وزَمجرْ صاخباً عـرِمَا
كالسيل منطلقاً كالويل مستبقاً
كالليل محتدماً كالنار ملتهمَا
على الليالي. على الأيام في ثقة
نَقِّل خطاك. وإلاّ فابْتُرْ القدمَا
هي الوغى.. قد رضينا بالوغى حكماً
حتى نرى حائط الطغيان منهدمَا
حتى نرى القدس حُرّاً في عروبته
حتى نرى الحق والإسلام مبتسمَا

وقفة مع هلال المحرم

يرغو بأعماقي ويصخبُ في دمي
صوتٌ تأبّى أن يبوحَ به فمي
صوتٌ حبيسٌ في الضلوع كأنه
سرُّ الليالي في ضمير الأنجم
أصغي له فأكاد أنكر مسمعي
أعزيف جنٍّ عربدتْ في أعظمي؟
أم رجّةُ الإعصار يجتاح المدى
قصْفاً وعصفاً؟ أم فحيح الأرقم؟
أم كاهن تحت الظلام مؤرَّقٌ
يرمي الدجى بطقوس دين مُبْهم؟
أم فكرة مذعورة حين التقتْ
وجهاً لوجهٍ بالقضاء المبرم؟
ريعتْ لها خلف الضلوع خواطري
وتفجرتْ حُمَماً غضاباً في دمي؟

* * *

إيهٍ بنـات الشعـر هيّـا مـزّقـي
هـذا الجدار مـن السكـون وحطمـي
هـاتي غنـاءً أو بكـاءً إنني
قـد ضقْـتُ ذرعـاً بـاليراع الأبكـم
وبـدمْعـةٍ وَقفـتْ على أجفـانـه
حيرى. وشرُّ الدمـع مـا لم يُسْحَـم
هـذي دواعـيِ القـول حـولـك جمّةٌ
ضـاقـتْ بها الدنيـا.. ولم تتكلمـي
هلّا نظـرت الشرق كيـف تجرأتْ
فيـه الذئـابُ على عـريـن الضيغـم؟
صُـرعَـتْ مهـابتـه ولم يصبـحْ سـوى
جسـدٍ لأنيـاب الردى مستسلم
وقفـتْ بـه الأيـام أنكـد مـوقـف
وقفـتْ بمفترقٍ مضيءٍ مظلم
مـا بين مـاضٍ كـان يـومـاً للضُّحـى
عـرشـاً. وبين الحاضر المتجهـم
ذُعرتْ خطـاهُ. ومـا التقـاعُسُ شيمـةٌ
يـا شرق... للعـربي أو للمسلم

* * *

عهـدي بـه حُـرَّ الإرادة والخطـا

نَـدْبـاً إذا دَعَـت العُلا لم يُحْجِـم

وإذا المروءة صـوَّحـتْ أغصـانها

ظمأً... سقاها عـن سخاء بالـدم

واليـوم... يـا للعـار صـار فَروقَـةً

بسـوى شريعتـه يلـوذ ويحتمـي

إني لأخجل حين أذكـر مَـنْ أنـا

وأكـاد أعـذرُ في الشماتـة لُـوّمـي

مـاذا سيروي في غـدٍ أحفـادُنـا

عنـا؟ أجبني يـا هلال محرم

أنـت الذي شهـد الجدود وعـزهـم

وشهـدتنـا والمجـدُ جـدّ مُحَطّـم

سيُقـال ـ لـو أن المؤرخ منصـفٌ ـ

: هذه الشعوب «ليعـرب» لا تنتمـي

رضيـتْ مـن الإسلام ظـاهـر لفظـه

ومـن العـروبـة لهجـة المتكلم

* * *

أنـا لا أصـدق مـا أرى. أفنـائـمٌ

أنا؟ لا. فتلك يدي وذلـك مـرقمـي

مـــاذا أرى عبْـــر السماء؟ أواقـــع؟
يـــا ليتـــه في العين محض تـــوهـــم
أحقيقـــــةٌ أن البغـــــــاث تجرأت
وسطَـتْ على أفـق النسـور الـحُـوَّم؟
رزءٌ أصـــاب مـــن القـــوافي مَقْتَلاً
وأشَـــلَّ أجنحـــة الخيـــال المُلْهِـم
يا روضُ لا تهتـفْ ويـا صبـحُ اتشـحْ
ثـوب الحداد ويـا كـواكـب أظلمـي
حتى أرى الأعـداء غــرقــى في الدم
حتى أرى العليـــاء بـــاسمــةَ الفـــم

* * *

أنا لا ألـومُـك يـا زمـانُ. فـإنَّ مَـنْ
يلقـــى الصَـــواريَ أعـــزلاً لم يسلم
نحن الأُلى جنحـوا لأجنحـة الكـرى
والدهـــرُ لم يفتـــأْ عـــدُوَّ النـــوّم
الدهـــر غـــابٌ والحيــــاةُ تنـــافُسٌ
والحقُّ للظفـــر المخضـــب بـــالـــدم
فـإذا نـــزلـــتَ الغـــاب تنشـــد مغنما
وغفلـتَ فيـه... كنـــت أول مَغْنَـــم

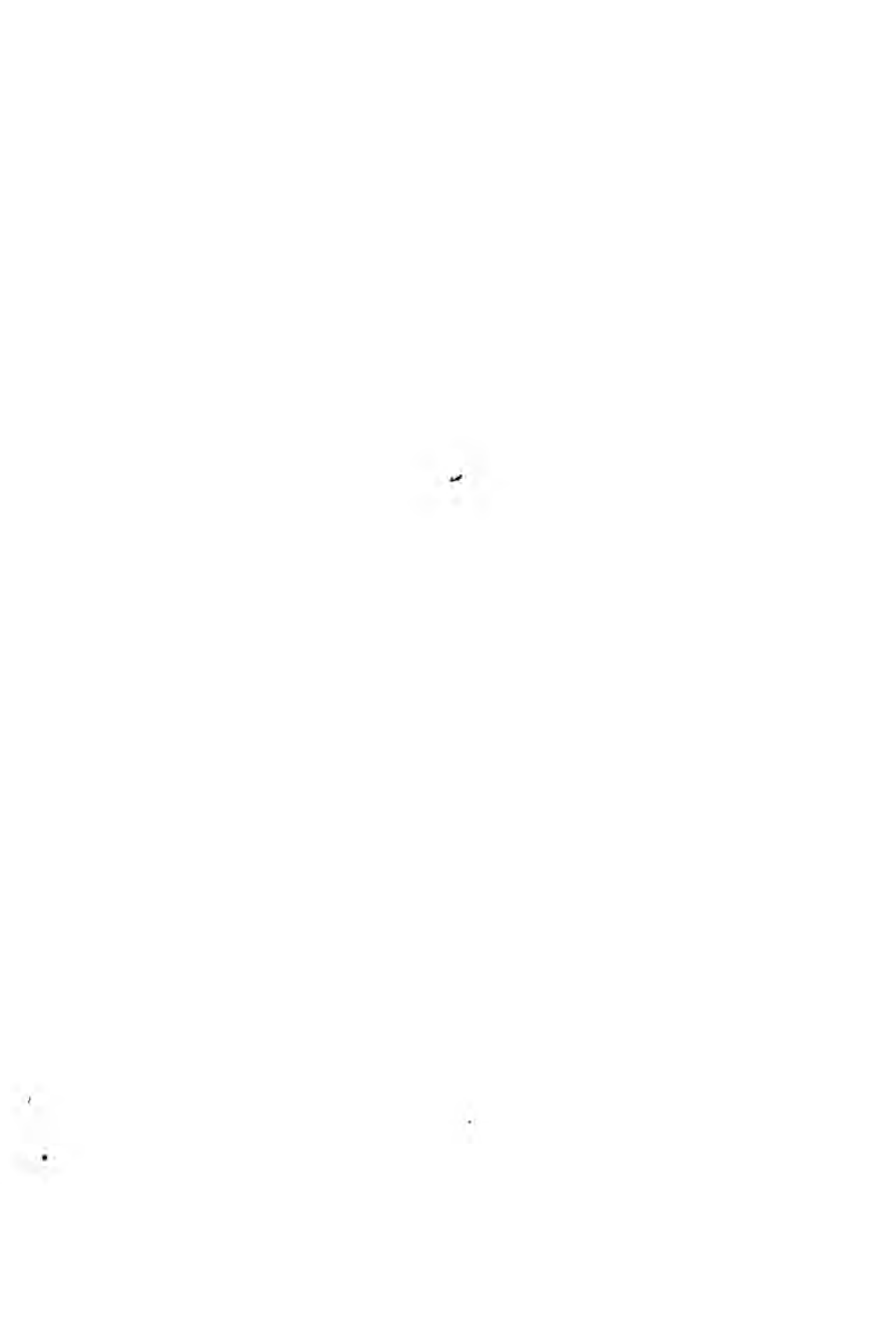
* * *

كنّا سنامَ الكون كُنّا هامَةُ
واليوم صرنا منه دون المنسم
صرنا عبيد المال باسم حضارة
حمقاء لم تؤمنْ بغير الدرهم
صرنا عبيد الغيد أقصى همنا
لو تحت أقدام الغواني نرتمي
حتى جعلنا الغانيات كواكبا
ومباذلَ الأخلاق رمْزَ تقدم
لعب الغرور بنا زمانا مثلما
لعبتْ بَغيٌّ بالغبيّ المغرم
وإذ استذلتْ أمةً شهواتُها
جَمَدَتْ فلم تنهض ولم تتقدم
هذي ليالينا وتلك حياتنا
أوهامُ عُرْسٍ في حقيقة مأتم

* * *

يا شرقُ عُذْراً حين أقسو ناصحاً
فالنصح للأحرار ليس بمؤلم
خدعوك بالملق الرخيص وأسرفوا
حتى شربت السمَّ باسم البلسم

يا شرق لا ترهبْ سهامَ نصائحي
لن يُفْزِعَ الأبطال وقْعُ الأسهم
يا شرق لا تقنطْ إذا اعتكر الدجى
فالفجر خاتمة الصراع المظلم



شَريف القَاسِم

حياته:

لا بد للمسافر إلى العراق من سوريا أن يمرّ بمحافظة دير الزور، وعلى الرغم من سيادة المناخ الصحراوي لهذه المحافظة فإن نهر الفرات الذي يشقها نصفين يخفف من حدة هذا المناخ وقسوته.

وعلى شاطىء الفرات تقع مدينة دير الزور التي سميت المحافظة باسمها، وفي هذه المدينة الصحراوية النهرية ولد شاعرنا شريف عبدالقادر الحاج قاسم عام ١٩٤١ م، وتحت سمائها الصافية التي نادراً ما حجبت شمسها السحب تفتحت طفولته ونمت مداركه، وعلى شاطىء فراتها قضى أيام الطفولة والصبا، ومن هذا النهر المعطاء بلّ ظمأه بالماء وروّى روحه بالصفاء.

وعندما أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية في مدارس دير الزور يمم حلب الشهباء ليدرس في دار المعلمين العامة ويتخرج فيها عام ١٩٦٢ م.

ولعل الآفاق التي تفتحت أمامه في مدينة العراقة التاريخية والأدبية قد ازدادت تفتحاً بالخدمة الإلزامية في الجيش السوري، ولا نشك أنه خرج من هذه التجربة وقد استوى عوده واشتد ساعده وتهيأ لمجابهة الحياة بحلوها ومرّها ودفوفها وصروفها.

ورغب في مزيد من العلم، فدرس الثانوية العامة الأدبية عام ١٩٦٧ م، ثم حاول أن يتابع دراسته الأدبية، فانتسب إلى كلية اللغة العربية في حلب ثم في بيروت، ولكن ظروفاً اعترضت رغبته فأوقفت مسيرته، فانصرف عن التزوّد بالعلم الرسمي إلى التزود من العلوم المتفتحة الآفاق، فاعتمد على المطالعة الحرّة، وأقبل على أمهات التراث وعلى كتابات المعاصرين ينهل منها ويتزود مما فيها حتى نال من ذلك كله حظاً وافراً وزاداً كافياً، فانطلق يشق طريقه إلى الشعر والأدب بخطى واثقة وهمة متوثبة.

ومما زاد شاعرنا رسوخاً في ميدان الأدب تلمذته لعدد من شيوخ بلده ممن برعوا في اللغة والنحو والأدب والفقه.

وظاهرة مجالس الشيوخ هذه ظاهرة تراثية صحية، لا زالت موجودة في بعض مدننا الإسلامية، وهي تعطينا دفعة من الأمل وثقة بالمستقبل يجعلنا نطمئن على أن أدبنا ولغتنا

وفقه ديننا وكل العلوم التي يحاول اعداؤنا أن يطمسوها من صحائفنا الناصعة وينزعوها من تاريخنا الوضاء، سوف تبقى حية في نفوس أبنائنا تنطلق بها ألسنتهم وتمتلىء بها صحفهم وكتبهم.

ونظر شاعرنا إلى أمته فرأى تأخراً في كل الميادين، وفكر في هذا التأخر فوجد أن سببه يكمن في ابتعاد الناس عن دينهم، وقد تفاقم هذا الابتعاد حتى كاد الناس أن يدخلوا في جاهلية جديدة، فعزم على أن يكون للناس منذراً وداعياً، ينذرهم هذا الخطر الذي يحيط بهم ويكاد يطبق عليهم، ويدعوهم للتخلص من الخطر والإفلات منه والانطلاق نحو مجد جديد وحياة سعيدة، وسلك في سبيل ذلك وسائل الاتصال الجماهيري، فكتب في الصحافة وخطب في المساجد وشارك في الاحتفالات العامة.

وكانت كتاباته في جرائد: الوطن والميزان والسنابل والناس الحلبية، وجريدة الفداء الحموية والخمائل الحمصية، وجرائد المنار واللواء والأيام الدمشقية، نداءات وصرخات من أجل تقويم المسيرة وإنارة الطريق وسلوك السبيل.

وكانت مساهمته في الخطابة في المساجد من أجل إحياء ما درس من فنون الخطابة الموجهة، وفي سبيل إقناع الناس بأن

حياتهم في اتباع هذا الدين وأن نجاتهم بالتمسك بعراه والسير على هداه.

وكانت مساهماته في الحفلات والندوات والمهرجانات من أجل إثارة الهمم وبعث النخوة ليهب الناس من رقدتهم ويفيقوا من غفلتهم، فيأخذوا الزمام من أعداء الأمة، فيقودوا الركب نحو شاطىء الأمان ويسيروا به في دروب الهدى والنور والضياء.

كانت وسيلة شاعرنا في هذه الميادين الخطبة النابعة من القلب، والقصيدة المتدفقة من الوجدان، تُلقى على جماهير المسلمين فيتلقونها بالرضا والقبول، فتبعث فيهم همة العمل لإعلاء كلمة الله وإحياء سنة سيد الأنبياء.

وعندما أدرك أعداء النور والضياء ما لأمثال هؤلاء المخلصين من شباب الإسلام ودعاته من خطر على ما بيتوا لهذه الأمة من مكروه، ضيقوا عليهم السبل، وشنوا عليهم الغارة، فألجؤوهم إلى الهجرة عن أوطانهم، فهاجروا، ولكنهم لم يستكينوا ولم يتخاذلوا، فهم يتربصون بعدوهم وعدو دينهم، ويتحينون الفرصة لكي يثبوا...

وشاء الله لشاعرنا أن يترك ميادين الجهاد في مراتع صباه إلى ميادين للجهاد أخرى في بلد إسلامي آخر، فانتقل إلى

نجران مدرساً ومربياً، متابعاً مسيرة جهاده بالكلمة الصادقة والقصيدة الهادفة والعزم المتين.

إنتاجه:

للاستاذ شريف قاسم ـ كما قدمنا ـ نشاط وافر في ميدان الكلمة نثراً وشعراً، فقد نشر إنتاجه في صحف حلب وحماة وحمص ودمشق عندما كان في موطنه سورية، وعندما انتقل للعمل في المملكة السعودية نشر إنتاجه في صحفها، وشارك في النشاط الأدبي فيها، ومن مؤلفاته التي وصل إلى علمنا أسماؤها:

١ ـ أغاريد شعبية، ديوان شعر يضم بين دفتيه أربعة آلاف بيت من الشعر الحماسي.

٢ ـ قدوم الربيع، ديوان شعر إسلامي دعوي.

٣ ـ من جانب الطور، ديوان شعر في الوصف والتأمل.

٤ ـ صدى الجزيرة، ديوان شعر يضم الشعر الذي أنشأه بعد انتقاله للعمل في السعودية.

٥ ـ بلال ـ كذب المنجمون ـ مصرع الطاغية، ثلاث مسرحيات شعرية.

٦ ـ دراسات عن الشاعرين المعاصرين؛ محمد منلا غزيل وأبي القاسم الشابي.

وكل هذه الأعمال مخطوطة تنتظر النشر.

شعره:

لا يستطيع الإنسان المسلم الذي يعيش في وجدان أمته ويقتات مآسيها ويجرع مصائبها أن يحيا منعزلاً عنها متقوقعاً في زاوية نائية من زوايا الحياة، وكيف بهذا الإنسان المسلم إذا كان شاعراً نابض القلب، متوقد الإحساس، حيّ الضمير؟!

إن شاعراً يزعم أنه ينتمي إلى هذه الأمة ثم يمطرها بوابل من تفاهاته، ويغمرها بسيل عارم من انحرافاته، وهي غارقة في مشاكلها، متعثرة في مصائبها، محاطة كالسوار بأعدائها، لهو ابن عاق وولد آبق، يدمر أمته، ويحطم شعبه، ويودي بحضارة أجداده.

والشاعر الحق هو الذي يترفع عن الدنايا ويقاوم الانحرافات، ويسمو بأمته إلى الذرى والقمم، حتى تستطيع أن تقاوم أعداءها، وتنهض من زلتها وتفك الحصار عن حضارتها...

ونحسب أن الاستاذ شريف القاسم من هذا الصنف من الشعراء الذين اتخذوا من شريف الكلام وسيلة ومن ناصع البيان شعاراً، وأقسم بينه وبين نفسه أن يكون لسان أمته، ينطق بالحق الذي يبوّئها الذرى ويحلها قمم المجد السوامق:

صدقتـك الشعـر، مـا زوّرتُ قـافيـة
ولستُ أكذبُ فيه مثل مـن كـذبـا [1]
ومــا اتخذتُ معـــانيـــه لتسليـــةٍ
ولم أُمــار بـــه الغـــاويـــن منتسبـــا
وليخسأ الزيفُ، لـن تقـوى وسـائلُـه
أن تـدرك النبـل أو أن تبلـغَ الرُّتبـــا

وللوطن عند شاعرنا مفهوم نابع من إدراكـه للـرسـالـة الإسلامية، إذ الإسلام دين عالمي، فكل بقعة من الأرض دان أهلها بالاسلام وارتفع فيها نداء التوحيد كانت لكل مسلم وطنا:

بلادي شعـــــوب المسلمين، ورايتي
ترفـرف بـالتـوحيـد والعـزّ والطهـر

ويدرك شاعرنا أن من أسباب شقـاء هـذه الأمـة ومـن أسباب تمكن الأعداء من رقابها وبلادها هذا الفساد الذي استشرى فيها وتمكن من بنيها:

دول الكفر ما استهانت بنا إلا بعيد انسياقنا للفساد

ويؤمن شاعرنا أن الخلاص من كل هذه المحن التي ألمت بأمتنا، وأن النجاة من كل هذه الكروب التي حلت بساحتنا

---

(١) هذه الأبيات وكل الأبيات المستشهد بها من ديوانه «صدى الجزيرة».

إنما يكون بالعودة لديننا والتمسك بعراه التي لا تنفصم:

آمنت بالله، لم أركع لطاغية
ولم أزغ عن طريق الحق منقلبا

استصرخ النهضة القعساء محتسباً
ولم أكن لسوى الاسلام منتسبا

به النجاة إذا ما دلهمت محنٌ
وفيه ما نرتجي إن عصرنا اضطربا

وانطلاقاً من هذه الأسس التي أرسى عليها شاعرنا شخصيته نستطيع ان نؤكد أن شعره كله يدور في حلقة الإسلام ويجري في حلبته، فهو مفتخر بأمجاده، باك على ما صار إليه آله، داع إلى العودة لنبعه الصافي ومعينه الفياض، ناظر بعينه الشفافة عبر آفاق الأمل، مؤكد بأنه يرى مجد الإسلام بازغاً مرة أخرى.

ينظر شاعرنا إلى ماضي قومه فيجده زاخراً بالمكارم فياضاً بالعدل مفعماً بالانتصارات، فيهزه ذلك فيتباهى به ويزهو:

يذكر الأمس بأسنا يوم كنا
للطغاة الغزاة بالمرصاد

وثياب الجهاد زينتنا الكبرى توشي مناكب الروّاد
والعيون الظماء كحلها الشوق، رواني لجنة الميعاد

هذا الجهاد الذي هو سرُّ المجد الذي كلل جبين أمتنا، ضاع المسلمون عندما ضيعوه، وخسروا دنياهم عندما نسوا قول رسولهم العظيم: الجهاد ماض إلى يوم القيامة...

والشام موطن الشاعر وواسطة عقد الأمة الإسلامية، كانت دُرَّة متلئلئة تجتذب أنظار العالم بما فيها من تقدم وحضارة، يذكرها الشاعر ويذكر أيامها البيض وأماسيها الحانية، ويتمنى لو يعود كل ذلك مرة أخرى:

أنا الشآم التي كانت معاقلها
للمجد أماً، توشي تاجه، وأبا
في الحرب، في السلم، ما سمارها سئموا
ولا بها وجم الغرّيد أو صلبا
أيامها البيض للدنيا ندى وشذى
وظلها أبهج العاني بما عذبا
روى الرواة أماسيها، فواهفي
لو جدّد الدهر من أيامها عقبا

وعندما يلتفت الشاعر إلى واقع أمته يراه على غير ما يحب، يرى الوهن قد سرى إلى نفوسهم فاستكانوا لظالميهم، ويرى الغفلة قد سيطرت عليهم فأسلموا أمورهم لأعدائهم،

فيأسى لهذه الحال التي صار إليها أولئك الذين سادوا الدنيا وعمروا الأرض ونشروا العدل في كل مكان:

لســت أبكــي ملاعبي وغنــاهــا
وصبــاي المسفــوح بين الدروب
فحيــاتي قصيــدة لعلاهــا
والقــوافي مــن روحهــا المنكــوب
إنما أدمعــي لغفلــة قــومــي
وشرودي لــوهنهــم ونحيبي

هذا الأسى لحال أمته يتردد صداه في شعره ممزوجاً بالتفاؤل والأمل:

أبكــي على أمــة الإسلام، والهفــي
لما جــواد علاهــا في الدروب كبــا
كم ليلـة عصفـت قـربي هــواجسهــا
وكل هـذي الليـالي تعصـف الكـربـا
وعشــت في ظلم الآهــات مكتئبــاً
وبـت أنظـر وجـه الصبـح مـرتقبـاً

وشاعرنا واثق أن الفجر الإسلامي قريب رغم ما يكتنف الواقع من ظلام دامس وسحب داكنة:

إنني رغـــــــــم ظلام دامس
لأرى النـــــور خلال السحـــــب
وأحس النصر يسري في دمـــــــي
ويحيي في الحنـــــايـــــا أربي
إنها الرؤيـــا أتـــت صـــادقـــة
ليس مـــن أضغــــاث حلم مجدب

لهذه الثقة التي ملأت جوانح الشاعر بأن النصر آت وأن الفجر قريب، أخذ يناجي أمته بأن تعمل لهذا الأمل المشرق وأن لا تلتفت إلى المثبطين والمنهزمين الذين يظنون ان الإسلام عهد قد انقضى وأن مجده قد ولّى:

فلم تنـــــدثـــــر روح النبي محمد
فهذي جموع الســـائـــريـــن على إثـــر
تشدُّ عـرى الإيمان أيـدي انبعـاثهـم
وروح تنادي القوم مـن غـابـر الدهـر
أيـا أمـة الإسلام قـد طـال نـومكـم
وطـال السرى فلترتفـع رايـــة الثـأر
فهبـوا على صـوت الجراح وحطمـوا
قيـــود الونـــى والذل والألم المرّ

ويحث الشاعر أمته على الانبعاث ويغريهم به، ويؤكد لهم

أن الفلاح حليفهم يراه واقعاً قريباً لا يشك في ذلك:

وأيـن الحماة الصيـد مـن أمـة الهدى
يعيـدون للـدنيـا الصبـاح الذي ولّـى
أراهـم بـروحـي قـادمين كـأنهم
تـدفـق سيـل في المدى يـدفـع السيلا
أتت من بطـون الغيـب لاهبـة الظبـا
كتـائـب للـرحمن تقتحـم الهولا
أراهـم أراهـم كـالضيـاء وكـالنـدى
وكـالأمـل المنسـوج مـن رحمة المولى

وكيف لا يعمل المسلمون لعودة الإسلام حاكماً مهيمنا وهو النور الذي يبدد الظلام والعدل الذي يمحق الجور والعزة التي تدوس الهوان، وكيف لا يتشبثون بهذا الدين وقد جربوا كل ما ابتدع الناس من مبادىء فلم يجنوا منها إلا الشوك ولم يتذوقوا سوى العلقم؟

محقنـا ديـاجير الشعـوب فـديننـا
نهار على ليـل الممالـك مشرق
به قد ملكنـا الأرض شرقـاً ومغـربـاً
وجـذوتـه رغـم الدجـى تتـألـق

أروني، مـدى الأيـام، عهـداً معطـراً

بغير شـــذى الإسلام يهمـــي ويعبـــق

* * *

هذا شاعرنا شريف القاسم في توجهاته في شعره، شاعر مسلم متفائل، لا يرى سعادة ولا عزة لأمته إلا بالإسلام.

وقد نظم شاعرنا جل شعره بالوزن والقافية كما نظمه الشعراء من قبل وكما استقرّ عليه الشعر العربي منذ الجاهلية إلى اليوم، ويبدو أن شاعرنا يرى في النموذج الذي أخذ قسم من الشعراء المعاصرين ينظم فيه طريقة يمكن أن تكون صالحة للنظم ويمكن أن تكون إحدى طرائق النظم المقبول في الشعر العربي، لذا فقد نظم فيه بعض قصائده المتأخرة مع محافظته على المضمون السامي، ومع ذلك فإننا نحسّ حتى في قصائده التي نظمت على الانموذج الجديد الذي نرى أن الاسم الذي يناسبه هو شعر التفعيلة لأنها أساس فيه، نحسُّ أنه يفضل النظم على النموذج الخليلي:

وغداً ستهب العاصفة القدسية

وتعود الأحرف والألوان

ويعود ابن رواحة بالألحان

وجهاً علوي السمت كما قد كان

ويردد حادينا أحلى ما طرّز حسّان

وبعد، إذا أحببنا أن نجري مع الدارسين المعاصرين في تصنيف الشعراء ما بين ملتزم وغير ملتزم، فإننا لا نتردد في تصنيف شاعرنا مع الملتزمين، مع احتفاظنا لفهمنا للالتزام بأنه شعور عفوي لا اتجاه قهري، إذ أن الالتزام يمليه على الشاعر دافع داخلي وتكوين نفسي وقناعة وجدانية، ولا يستطيع غير ذلك أن يصنع من الشاعر ملتزماً، وإذا ما تكلف الشاعر الالتزام أو أكره عليه، فإنه لا شك قد رمى بنفسه في هوة سحيقة لا منجاة منها ولا خروج من قرارها.

مختاراتنا من شعره:

اخترنا من ديوانه «صدى الجزيرة» ثلاث قصائد:

١ ـ قدوم الربيع
٢ ـ في فجاج الصحراء
٣ ـ يا دروب المجد

هذه القصائد الثلاث تمثل الأوتار الثلاثة التي يضرب عليها شاعرنا في شعره كله:

أما الوتر الأول فهو حال الأمة الإسلامية وقد دخلت خريفاً عابراً، فإذا ما ظن غافل أن هذه الأمة قد دخلت

خريفاً أبدياً فقد ظن ظناً لا يغني من الحق شيئاً، ذلك لأن الحق أن خريف أمتنا خريف عابر، وأن بعد هذا الخريف ربيعاً قادماً. وإنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

وأما الوتر الثاني فهو وتر الأمل المرجو، وتر الثقة بأمة الإسلام وقدرتها على النهوض والتقدم لحمل الراية والانطلاق بها نحو الآفاق الرحيبة، هذا الأمل لا يفارق الشاعر في قصائده كلها، بل ونشعر ونحن نقرأ شعره أنه أمل ويقين، وكيف لا يكون أملاً ونحن نرنو إليه ونتلهف على بزوغه؟ وكيف لا يكون يقيناً وقد بشرت به أحاديث رسولنا الأمين؟

وأما الوتر الثالث فهو وتر الجهاد في سبيل الله، فما قهرَنا أعداؤنا، ولا تمكنوا من بلادنا إلا عندما تركنا الجهاد وركنا إلى الدعة، وما وصلت أمتنا إلى هذا الدرك من الهوان إلا بعد أن زيّن لها أعداؤها حب الدنيا فأقبلت عليها، ونسيت ما أمر الله به من جهاد أعدائه وغفلت عما أمر به رسول الله من التمسك بالجهاد والاقبال عليه ما بقي على الأرض حياة، ولأن شاعرنا مدرك لهذه الحقائق فإنه لا يفتأ في قصائده يدعو أمة الإسلام للإقبال على الجهاد حتى يعود نغمها الذي تعزفه فتصغي لها الدنيا بأسرها، أو ليس الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام؟ فحيّهلا يا أمة القرآن على الجهاد، فهو الطريق.

قدومُ الربيع *

بعينيَّ بـــاتَ الربيـــعُ الحبيـــب
رؤىٰ مغـرمٍ بـالـــزمـانِ الخَضِـلْ
ليـــالٍ مضينَ بـــدنيـــا الأسىٰ
يَـــرِنُّ صـــداهـــا بقلبي الثمـــل
نثرتُ الهوىٰ أحـــرفـــاً عبرهـــا
فطـــارت بلابـــلَ شطـــرَ الأمـــل
على كـــلِّ حقـــلٍ بـــدربِ المنـــىٰ
قصيـدةُ شوقٍ بـــروحـــي اشتعـــل
يفـوح طيـــوبـــاً غِنـــاهـــا النـــديّ
ويحيي الليـــالي العِـــذَابَ الأُوَل
فـــأوقـــدَ قلبي لبـــوحِ الحنين
مشـاعـلَ يـذكـي سنـاهـا الأجـلّ
وهمـــــتُ على لمحِهـــــا لا أرىٰ
ســـواهـــا المســـامـــرَ منـــذ الأزل

(*) نشرت في مجلة/ اقرأ/ العدد ٢٦٥/ تـاريـخ ١٠ جمادي الأولى ١٤٠٠ هـ.

فلا كـأسُهـا بنــتُ تلــكَ الكــروم

ولا شهــدُهــا مــن شهــيِّ القبــل

وليســت أحــاديــثَ ريــبٍ ولا

بقـايـا غصـونٍ خـوتْ مــن غــزل

بعينيَّ دنيــا مـــروجٍ فِســـاح

تطـــالعُني بـــالنــدىٰ والحلــــل

فقمـــتُ أعـــانـــقُ صـــدرَ المروج

علىٰ نغماتِ النسيمِ الجذل

* * *

أفجــري الحبيـــبَ أطـــلَّ سنـــاه

ـ بليــلِ حيــاتي العتيِّ ـ وهــلّ

بكيـــتُ عليـــه بقلـــبٍ ولـــوع

زمـانـاً تقضّـىٰ أسًـى وانســدل

وجـــاءَ نـــديّـــاً لـــذي لهفـــةٍ

يـــردُّ عليـــه رفيـــفَ الزجـــل

وجـــاءَ لمن شـــدَّه العنفـــوان

شبـــابـــاً نما للعلا واكتمــــل

ومنــــه غنــــايَ الطـــريـــدُ الذي

يفـــورُ إبـــاءً بغير كلـــل

ومتـــه هـــوايَ النـــديُّ الوفيُّ
وحبي الذي مـــا عـــراه دخـــل
ومنـــه ملامـــحُ ركـــبٍ يعيـــد
كنـــوزَ الأزاهير بين السبـــل
أراه خلال الدجـــى والضبـــاب
بهيَّ الشعـــاعِ جميـــلَ المثـــل
أتـــى رحمةً لحيـــاةِ الشعـــوب
فصبراً... لكـــلِّ كتـــابٍ أجـــل

* * *

أفقـــتُ وحلمُ الصبـــا دمعتـــان
تـــرقـــرقتـــا في حنـــايـــا المقـــل
وآفـــاقُـــه الخضرُ وشيُ الربيـــع
وَفَقـــدُ شـــذاهُ عليَّ ثقـــل
وبسمتُـــه هـــي أمـــنُ الفـــؤاد
تـــراءتْ بـــدربي ولم تـــرتحل
نسجتُ لها مـــن دمـــائـــي النشيـــد
تـــوهَّـــج في لحنِـــه المشتعـــل
فهبَّـــت لـــه أمـــةٌ مـــن هجـــوع
تمزِّقُ ثـــوبَ الونـــى والوجـــل

وثـــارت مــــروءاتُ روح عنيـــــد
تململَ تحتَ النعيمِ الضحــــل
وخفّت خطاه.. فيا للزحوف
تموجُ إبـــاءً لأمـــرٍ جلـــل

* * *

بعينيَّ دنيـــا ربيـــع الحيـــاة
وبـاقـةُ طيـبٍ.. لِعـانٍ سـأل
تموجُ الكـروبُ وتفنـى الشعـوب
وشعبي سنـا الخلـدِ لمّـا يـزل
لـه شهـدتْ صهـواتُ الجيـاد
ونقعُ الوغـى بـالـدمـاءِ اشتعـل
وإن كنـتُ أفْخَـرُ بين الورى
بماضٍ زهـا بعطـاءِ الرسـل
فـإنَّ ضيـاءَ الكتـابِ المبين
لـه في الدجـى قبسٌ مـا أفـل
وصـاغَ البطـولـةَ كـفُّ الرسـول
وأنبـتَ في كـلِّ عصرٍ بطـل
هـو الشعـبُ ظـلُّ الخُلـودِ وكم
تجلّـى بصيحـة حـق.. وهـلّ

من فجاج الصحراء

لا تقــلْ غــابَ فجـرُنـا الربــاني
في ديـاجـي الخطــوبِ والأشجــانِ !
وانطفـتْ شعلـةُ الجهــادِ وغــامـت
في سمانـــا عـــزائـــمُ الإيمانِ !
أوكبـا الفــارسُ العنيــدُ مُــدَمَّــى
وتخلَّــى عــن حــومـةِ الميـدانِ !
أو أنــامَ الفــرســانَ لحنُ التمني
فتــواروا.. للــوهــنِ والخذلانِ !
واحتــوى الامــةَ الكــريمةَ ضعــفٌ
فتمطّــتْ على بــريــقِ الأمــاني
لا تقلهـا... ففــي الصــدورِ لهيــبٌ
سعَّــرتْــهُ الصروفُ في البلـــدانِ
عــربــداتِ الهوانِ ذوبي فهــذي
صَــرَخــاتُ انبعــاثِنــا الربــاني
مـــن دوّيِ الجراحِ في كـــلِّ أرض
سقطــتْ تحتَ وَطــأة العبـــدان

عضّها المعتدون يومَ تولّوها...
بناب الأحقادِ والأضغان

أيُّ شرقٍ وأيُّ غربٍ تراءى
بسوى الزيفِ وامتشاق السنانِ

وبفكرٍ أضاعنا، وخداعٍ
وسلاحٍ مؤججِ النيرانِ

ملةُ الكفرِ ثوبُها وثنيٌّ
نسجتهُ من الظلامِ يدان

* * *

من فجاجِ الصحراءِ أصغي لصوتٍ
أزليٍّ يموج في وجداني

هزَّني.. والوجومُ يعصرُ قلبي
ويواري ما فيه من غليانِ

ومشىٰ بي علىٰ مشارفِ مجدٍ
وأراني المكنونَ من فرقاني؟!

... من هنا أشرقَ الصباحُ نديّاً
في جبينِ العلا وهامِ الزمانِ

وسرىٰ باسمِ دعوةٍ ظلّلتْها
وهي تبني كرامةَ الإنسانِ

لا رنين الأشعـارِ يـوفي لـوصـفٍ
أو مقـالِ المدّلِ بـالتبيـانِ
دفقـةُ البيـدِ مـوجـةٌ مـن غيـوبٍ
حملتهـا كتـائـبُ الرحمنِ
وهـي اليـوم في ضمائـرِنـا الحـ
ـرّى نشيـدٌ يثيرُ روحَ المغـاني
يـوقـظُ النـائمين، ينتـزع الوهـ
ـن ويحيي الأمـواتَ في الأكفـانِ
هو وهْجُ الأقـدارِ في الأضلـعِ الظمـ
ـأى وروحُ الفـداء والعنفـوانِ
ونـداءُ الخلـودِ في جنَّـةِ الخلـد...
بصـوتِ البطـولـةِ الرنَّـانِ

* * *

سـابقينـا على دروبِ الديـاجـي
وأنيري حيـاتَنـا بـالتفـاني
يا بقـايـا مـن الرجـولـةِ لم تُخنـقْ...
بـأيـدي دُجنَّـةِ الحدثـانِ
فـالشعـاعُ الطـريـدُ في حلكـةِ الليـ
ـلِ يمدُّ الجنـاحَ رغـمَ الدخـانِ

والملبّون في الفجاجِ تنادوا
ينفضون الأسى بكلِّ مكانِ
صاحَ داعي الجهادِ فانتهضَ الفجـ
ـرُ وأعلى نداءَه بالأذانِ
فإذا الساحُ والحناجرُ تدوي
أغنياتٌ ليومِنا الفيتانِ
إيهِ يا أمةَ الجهادِ ألَمْ يكـ
ـفِ سيوف الفدا بغيرِ طعانِ؟
أمِن العزِّ أن تنامي على الضيـ
ـمِ عهوداً موهونةَ البنيانِ؟
هوذا عصرُك الصبيح فأين الر
كبُ يزجي قوافلَ الفرسانِ

* * *

أنت يا أمةَ الهدايةِ والخيـ
ـرِ وكأسُ الخلود تستقيانِ
فامنحينها إلى الأنام وردِّي
كُلَّ كأسٍ مريرةٍ وهوانِ
لا تُميتي الرجاءَ من جذوةِ الحق..
فقد هلَّ في بطونِ الزمانِ

ينسجُ الدربَ بالبطولةِ والعزمِ..
ويطوي مكائدَ الشيطانِ

فاستجيبي للهِ في رهجِ الهو
لِ ترَيْ من بوارقِ البرهانِ

واخلعي ربقةَ الهوانِ وشدّي
بينَ فتحٍ مضى يميسُ.. وثانِ

أسمعيهم من جلجلاتِ زحوفٍ
داوياتٍ في الأفقِ كالبركانِ

وانشري وجهَ عزّةٍ لم تنلها
هجماتُ الغزاةِ يومَ طعانِ

يا منارَ العرفانِ ردّي قطوفاً
من ربيعِ الهناءِ والعرفانِ

* * *

لم تزل صورةُ الرجالِ طيوفاً
غافياتٍ كالحُلْمِ في الأجفانِ

تلك أيّامُهم حكايا كأسطو
رةِ فخرٍ تحدو مع الركبانِ

آه لو لم أعشْ مآسيَ قومي
لم أصدِّقْ ما قد ترى عينانِ

الملايين كـــالغثـــاءِ تلاشـــوا

وقـــواهـــم مهـــدودةُ الأركـــانِ

ذلَّـــلَ المعتـــدون أمـــةَ عـــزٍّ

فـــاعتراهـــا مـــا ليسَ بـــالحسبانِ

أيـــن يـــومُ النضير يحشـــدُ قـــوماً

لجهـــادٍ مقـــدسٍ وتفـــان؟!

أيـــن روحُ الإيثـــارِ تبعـــث فينـــا

مـن معـاني الإخـاءِ كـلَّ حنـان؟!

أيـن عُشَّـاقُ دوحـةٍ يـومَ تُسقـى

بـدمٍ ظـاهـرِ التـدفـقِ فـان؟!

أيـن.. أيـنَ الأيـامُ يـا ويـح عُمـرٍ

قـد تقضَّـى بـالـوهـم والخذلان؟!

* * *

يـا إلهي أعـدْ علينـا ثيـابـاً

طـاهـراتٍ بـالجود والغفـرانِ

وأنِـرْ ليلَنـا الطـويـلَ بهدي

أبـديٍّ مـن سلسـلِ القـرآنِ

لـكَ نشكـو تَفـرُّقـاً وضيـاعـاً

وكـروبـاً تموجُ في البلـدانِ

فامحُ.. يا رب بؤسَنا وشقانا
وأجِرْنا من وطأةِ الأحزان

واكشف الغمَّةَ الثقيلةَ عنّا
من سحابِ الشجاء والحرمان

كم شهيدٍ للمؤمنين تهاوىٰ
وجريحٍ مضمَّخِ الأردانِ

وأسيرٍ أصفادُه تتلوّىٰ
وسجينٍ مكبَّلٍ ظمآنِ

وفلسطين.. جرحُنا وجراحٌ
راعفاتٌ لأخوة الإيمانِ

ها هم المسلمون في كلِّ صقعٍ
بين قتلٍ وشدةٍ وهوانِ

يا إلهي.. بك الرجاءُ ولسنا
نُسلمُ النفسَ للقنوطِ الجاني

علمتْنا الآياتُ كيفَ نلاقي
من صروفِ الإيذاء والنكرانِ

وكأني أرىٰ الفجاجَ بنوداً
خافقاتٍ بهمّةِ الشجعانِ

وأرىٰ الفجــــرَ صيحـــةً وأذانـــاً

ونشيــــــداً مقــــــدَّسَ الألحانِ

وأرىٰ شعبَنـــا العظيمَ زحــــوفـــاً

تتحـــدَّى حنـــادِسَ الطغيــــانِ

يا دروب المجد *

يـــا دروبَ المجــدِ مـــن أرضِ النبي
جَـــدِّدِيّ للمجـــدِ روحَ الغلـــبِ
عينُنـــا تـــرنـــو إلىٰ ملحمـــةٍ
لم تـــزل غـــافيـــةً في الهدبِ!
ظِمـــىءَ الصبـــحُ لأفـــواجِ السنـــا
فـــانشري الموكـــبَ إثـــر الموكـــبِ
وأعيـــــدي علمَ الفتـــــحِ على
أغنيـــاتٍ.. للّظـــىٰ المنسكـــبِ
وامنحـــي أمّتنـــا بعـــد الونـــىٰ
نخوةً تـــوقـــظُ عـــزمَ العـــربِ
وانثريها حللاً زاهيـــــــــةً
لكمِّـــيِ يعشـــقُ النـــورَ.. أبي

* * *

قـــد كفـــانـــا ذلـــةً في عـــالمٍ
قلـــقٍ مضطـــربٍ ملتهـــبِ!!

(*) نشرت في مجلة/ اقرأ/ العدد/ ٢٠١/ تاريخ ١٤ محرم ١٣٩٩ هـ.

مُـزِّقـتْ أوطـانُنـا وانتُهِكـتْ
حـرمـاتٌ لم نصنْهـا مـن سبي
كم مضىٰ قـرنٌ.. وقـرنٌ فـاغـرٌ
فـاهُ لم يمضـغْ سـوىٰ كـلِّ غبي
وهجعنـا.. نحن في غفلتنـا
وافترقْنـا.. للهـوى واللعـبِ
أيـنَ روحُ العـزمِ مـن إيمانِنـا
يتخطـىٰ كـلَّ أفـقٍ مـرعـبِ؟!

* * *

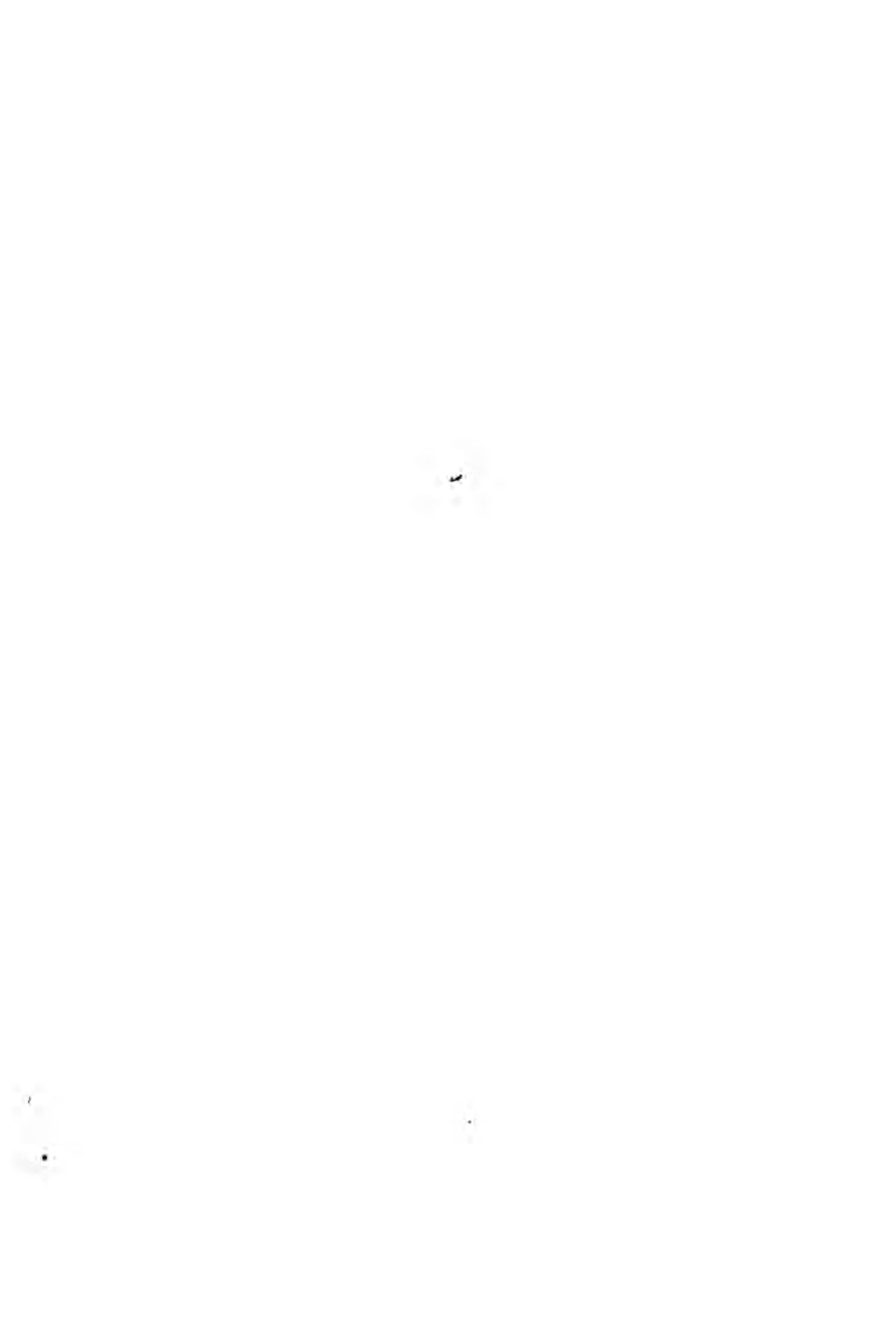
أثقـلَ الليـلُ خطـانـا ومشىٰ
في حنـايـانـا ثقيـلَ الكـربِ
كم طـوتْ أهـوالَه أيـامُنـا
مشرقـاتٍ.. يـالقنـا والقضـبِ
ونَسَجنـا للـورىٰ فَـيْءَ المنـىٰ
فـاستظلـوا بمداه الأرحـبِ
ووهبْنـا عيشَهـم مـرحمةً
لا بـزيـفٍ مفترىٰ أو كـذبِ
لم تَهـنْ فـرسـانُنـا يـومَ الوغـىٰ
أو تلاشـىٰ عـزمُهـم في غيهـبِ

نحن مَــن دَكُّــوا قلاعــاً شمخــتْ
تتحــدّىٰ كـــلَّ زحـــفٍ لجبِ
وغمـرنــاهــا.. ميــاديــن الفــدا
وَهَجــاً ردّ هـــوىٰ المغتصـــبِ

* * *

يــا دروبَ المجــدِ مــا زالت لنـــا
أمنيـــاتٌ بعـــدَ هـــذا النصـــبِ
نحن لـن نحيــا ضيــاعــاً مــرهقــاً
حنقـــاً أقعـــدَنـــا للنُـــوَبِ
هـــــــذه روحُ المروءاتِ التي
أيقظتهـــا لهفـــةُ المرتقـــبِ
هـــزَّت الأبـــرارَ نجوىٰ يثربٍ
وأثــارتْ عـــزَّهـــم في الحقـــبِ
عــزمــاتُ الخالــديــنَ اتقــدتْ
في قلـوبِ النـاسِ ، لا في الكتــب!!
وريـــاحُ الفتـــحِ في أجـــوائِهـــا
حملـــتْ تكبيرَهـــا للشهـــبِ
إنني رغـــمَ ظلامٍ قـــاتـــلٍ
لأرىٰ النـــورَ خلالَ السحـــبِ

وأحسُّ النصرَ يسري في دمـــــــي
ويحيِّـــــي في الحنــــايــــا أربي
إنها الرؤيــــا أتــــت صــــادقــــةً
ليس مــــن أضغــــاثِ حلمٍ مجدبِ
مــــا الملايين أظَلَّـــــتْ أملي
ولها بـــــالمجـــــدِ أعلى نسبي!
إنما لــــوعــــةُ أكبــــادٍ مشــــت
فــــوقَ جمرٍ لاهــــثٍ مضطــــربِ
فَلْتُمــــزِّقْ وهنَنَــــا روحُ الفــــدا
ولتبــــاركْ صفَّنــــا.. كــــفُّ النبي



الحَبيبُ المستَاوي

حياته:

ولد الحبيب المستاوي عام ١٣٤٢ هـ، ١٩٢٣ م بقرية الرقبة - تطاوين ولاية مدنين في تونس الخضراء...

ونشأ في بيت علم وأدب.. وكان في طفولته يختلف إلى كتّاب القرية ليتعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم.. فحفظ القرآن وأصول العربية على يدي جده لأبيه المرحوم أحمد المستاوي.. وحذق كتاب الله حذقاً رافقه إلى آخر حياته..

والتحق بجامع الزيتونة سنة ١٩٣٥ م ليتلقى علوم الثقافة الاسلامية على اختلافها، من شرعيـة وأدبيـة.. وتخرج فيـه حاملاً الشهادة العالمية في الآداب سنة ١٩٥١ م.

وباشر التدريس بالفرع الزيتوني بمدنين ثم نقل إلى قفصة وعاد إلى تطاوين إلى أن انتدب للتدريس والوعظ ضمن بعثة تونسية إلى القطر الليبي سنة ١٩٦١ م. وعاد من ليبيا ليعمل أستاذاً للشريعة وأصول الدين بالكلية الزيتونية.. وظل من

أساتذتها إلى أن نقل إلى قفصة للتدريس بأحد معاهدها. ثم تولى التدريس بالأكاديمية العسكرية عدة سنوات إلى أن أحيل على التقاعد عام ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.. وفي شهر رمضان المبارك من العام نفسه انتقل إلى دار البقاء رحمه الله.

نشاطه:

الشيخ المستاوي عالم فاضل من علماء «الاتجاه الاسلامي»[1] في تونس أخلص دينه لله وقدم خدمات جليلة لإعلاء كلمة الله.. كان شديد الالتزام بالاسلام، وكان

---

(١) «حركة الاتجاه الاسلامي».. حركة إسلامية معاصرة نشأت في تونس عام ١٩٧٠ م.. من قادتها المجاهدين الأستاذ راشد الغنوشي والشيخ عبدالفتاح مورو..

ومن أهدافها: وضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلال.. وتبصير الناس وتوعيتهم على جوانب القوة والجمال والعطاء في الاسلام تمهيداً للمطالبة بتطبيقه في مختلف نواحي الحياة.. والعمل على إعادة تونس إلى سالف مجدها.. قاعدة كبرى للحضارة الاسلامية بإفريقيا..

ولما أصبحت حركة المد الاسلامي تتنامى في الشمال الإفريقي وفي تونس بوجه خاص، وبلغت مبلغاً باتت فيه أملاً من آمال الأمة، وموضع طموحات الشعب التونسي المسلم، وأصبحنا نرى في تونس إسلاماً يتحرك على الأرض ويُرعب المستغربين.. تحرك العملاء لضرب الحركة الإسلامية وسجن قادتها وشبابها في الوقت الذي رُفع فيه الحظر عن نشاط الحزب الشيوعي والاتجاهات اليسارية.. وتم التآمر على ضرب أصالة الشعب التونسي ومحاربة عقيدته وفطرته وإتاحة الفرصة للتغريب والعلمانية والإلحاد والماركسية أن تترعرع في غيبة الاسلام ومحنته التي لن تطول بإذن الله.

يحاول أن يكون مطبوعاً بطابع الإيمان.. في حياته الشخصية والعائلية والمهنية والاجتماعية والثقافية.

مارس الأستاذ المستاوي مهنة التجارة في بداية حياته العملية ثم مال إلى التدريس، وجرّب العمل السياسي واضطلع ببعض المسئوليات فيه ولم يلبث بعده أن اقتنع أنه خُلق للحياة الاجتماعية والدعوة إلى الاسلام.. فمحض نفسه لها..

وجاءت حياته الاجتماعية التي آثرها، ونشط في مجالها خصبة بحق.. فكان الشيخ المستاوي خطيباً في المسجد الجامع بمقرين على مدى سنوات، وكان يحرص على التفاعل مع الأحداث الاسلامية الجارية، ويحمل جمهور المصلين على أن يتفاعلوا معها مثله، ويرتجل خطبه ارتجالا يعتمد فيه على ما وهبه الله من وعي للحقائق، ومعرفة بالدين، وشجاعة في إعلان الحق، وحفظ لنصوص الكتاب والسنة، ولسانة تفصح عن المطلوب، وانسجام مع الحاضرين.

وكان الشيخ المستاوي مدرس وعظ وإرشاد، له في العديد من جوامع العاصمة التونسية مجالس يلتقي فيها بعامة الناس، فيلقي إليهم بمعارف دينية ينير بها سبيلهم إلى الله، ويتلقى مسائلهم ويجيب عنها بما أعطاه الله من فقه في الدين.

وقام بعدة نشاطات اجتماعية ونقابية وسياسية.. ومارس

الخطابة والمحاضرة على منابر النوادي واللجان الثقافية في مختلف ولايات الجمهورية التونسية..

وكان من ذوي النشاط في المنظمات الاجتماعية الهادفة، وأهمها في نظره «الجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم» التي كان حتى وفاته أميناً لها، يعمل مع العاملين فيها بمختلف الوسائل والأساليب، على نشر كتاب الله بين الناشئة والراشدين، وإحياء ما تضمنه ذلك الكتاب من أحكام وتعاليم، أبرز المستاوي بعضها فيما تولى تفسيره من آيات بينات.

ولم يقتصر نشاط الشيخ المستاوي على بلده فكانت له لقاءات اسلامية داخل تونس وخارجها، ومساهمات كثيرة فيما يقدم من بحوث ودراسات.. وقد قام بعدة زيارات لبلدان اسلامية وشارك في لقاءات ومؤتمرات إسلامية في السعودية والجزائر وليبيا.

وكما كانت حياة الشيخ المستاوي الاجتماعية خصبة، كانت حياته الثقافية على حظ من الخصب والثراء.. فقد قضى مدة طويلة يقدم إلى مستمعي الإذاعة الوطنية التونسية درسين في الأسبوع في التفسير والحديث تتجلى فيهما الروح الاسلامية الحقة.. ولعل أهم نشاط ثقافي قام به الحبيب المستاوي رحمه

الله هو إصداره مجلة ثقافية إسلامية جامعة عام ١٣٨٨ هـ تحمل عنوان « جوهر الاسلام » وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها إلى تاريخ وفاته.. وما زالت تصدر حتى اليوم بفضل ما بذل لها في حياته من جهد ومال، وما يبذله لها اليوم نجله الأستاذ صلاح الدين المستاوي وبعض إخوانه وأصدقائه..

وعلى صفحات هذه المجلة كان الناس يتابعون مقالات الشيخ الاسلامية وقصائده الشعرية.. كما كانوا يتابعونها في مجلات أخرى كالبلاغ الكويتية والشهاب اللبنانية ورابطة العالم الاسلامي المكية والهدي الاسلامي الأردنية ودعوة الحق المغربية والصباح التونسية..

وكان لهذا الجو الاسلامي الذي عاشه الشيخ أثر كبير على حياته العائلية، فحمله على الالتزام بينه وبين نفسه بأن لا يسمي أبناءه إلا أسماء مضافة إلى « الدين » لفظاً ونصاً ما عدا واحداً كانت الإضافة فيه إلى الدين معنى وروحاً [1]..

وما من ريب أن رجلاً تلك مكوناته وهذا محيطه، لا بد أن يكون لكل ذلك انعكاس على سلوكه الذاتي.. فلقد كان مؤمناً عابداً لله قانتاً يحذر الآخرة حتى توفاه ربه وهو بين ركوع وسجود وعمل وجهاد..

---

(١) خلّف الشيخ من الابناء: صلاح الدين، جمال الدين، عز الدين، بدرالدين، محمداً، نصرالدين، حسام الدين.

وبعد وفاته قام ولده محمد صلاح الدين المستاوي بجمع أعماله شعراً ونثراً في أسفار لتكون بين أيدي المسلمين في تونس وخصوصاً الشباب الذين رباهم الشيخ على الإيمان وآمن بقدرتهم على تغيير أوضاع المسلمين في بلدهم الحبيب..

وصدرت المجموعة الأولى من أعمال الحبيب في الذكرى الخامسة لرحيله وكانت مجموعة شعرية بعنوان «مع الله».

شعره:

الشيخ المستاوي عالم وشاعر.. عالم قضى حياته في مقاومة التغريب ورد الناس إلى حظيرة الاسلام..

وشاعر تطلع إلى أبناء أمته وهم يلهثون وراء الحضارة الغربية في كل أمورهم، فهاله حالهم.. وجاء شعره نداءات وصرخات، وزفرات وأنّات ملأت عليه قلبه فنطق بها لسانه وخطّها يراعه فوجدت في نفوس المسلمين وجموعهم صدى.. إذ أصبحنا نلمح في الأفق تباشير نهضة ويقظة وعودة حقيقية إلى الاسلام..

قال الشعر في نواح منوعة وموضوعات متعددة.. قاله في دعوة الناس للعودة إلى الاسلام.. وقاله في المناسبات الاسلامية كالهجرة والمولد النبوي الشريف، وقاله في رثاء العلماء ودعاة الاسلام، وقاله في التأملات والابتهالات وفي

الشكوى إلى الله من المنحرفين عن الاسلام..

والدارس لشعره يرى فيه النزعة الاسلامية، والرغبة في الكشف عن محاسن الاسلام، وعرض مبادئه القويمة والذّبّ عنها، وإيقاظ همم المسلمين لينسجوا على منوال سلفهم الصالح في بناء الكيان الاسلامي المتين، ونشر الحضارة الاسلامية في العالمين..

فهو يدعو الناس إلى الاقتداء بالرسول ﷺ وإلى العودة إلى القرآن الكريم.. فيقول في قصيدة بعنوان «في حمى المصطفى»:

اسمعوا صيحة الرسول ينادي:
يا لقومي، ويا لأهل الضاد!
اسمعوه يتلو (الكتاب) عليهم
باتزان وحكمة واعتداد
ليس شعراً.. وليس سحراً.. ولكن
فيض سر، وما له من نفاد
معجز اللفظ، محكم النسج، بحر
للمعاني الفسيحة الأبعاد
فيه من عبرة القرون دروس
محكمات لطالب الارشاد

فيـــه للحكـــم والنظـــام دســـاتير
وفيهـــا عمـــران كـــل البلاد
فيـــه وعـــظ منبـــه وعنيـــف
فيـــه بشرى ودعـــوة للجهـــاد

ويدعو الشباب إلى الاعتـزاز بـالاسلام وإلى الذود عـن مبادئه فينظم قصيـدة في ذكـرى « الاسراء والمعـراج » عـام ١٣٨٠ هـ يقول فيها :

يـا مـن حظيـت بـالانتما لمحمـد
أفخـر بـدينـك مـا عليـك جنـاح
وارفـع على هـام الزمـان لـواءه
وليخس قـزم عـائـب نبّـاح
وازأر إذا ديس الحمـى مـن أرعـن
فلقـد يـذود عـن الحمـى مطماح
والهمـة القعسـاء ضربـة لازب
وبـدونها عـرض الشريـف يبـاح
وادع الذيـن تنكبـوه غـوايـة
وتـوغلـوا في غيهـم وأشـاحـوا
أن يكـرعـوا فلقـد تفجـر نبعـه
يـروي العطـاش وانـه لقـراح

ولسوف يبقى دين طه خالداً
والله أكبر والحياة كفاح

ويقف الشيخ المستاوي في وجه دعاة التغريب الذين يلهثون وراء الحضارة الغربية ويدعون إلى تغريب أمة القرآن.. فيقول في قصيدة بعنوان « فخضها بعون الله »:

وما فلسفات الغرب إلاّ خرافة
وما هي إلاّ كالطّلاء على الجلد
لئن حقّقت بالعلم زحفاً إلى الفضا
وأنتجت الصاروخ للفتك والهدّ
فما حققت للروح شيئاً مشرّفا
يميّز أهل العقل عن فئة الأسد
لقد أمعنت في السير نحو نهاية
أراها وأيم الله جرياً إلى اللحد
ولست أعادي العلم أنكر نفعه
ولكنّه قد صار كالمارد الوغد

ويقف شامخ الرأس أمام الطغاة الذين يريدون أن يلووا عنان القافلة الاسلامية ويقيمون سدّ الظلام أمام الهدى والنور الذي جاء به الاسلام.. فينظم قصيدة بعنوان « إليك شباب المسلمين » يقول فيها:

وللحائر المقهور في الأرض منفذ
إلى عالم التحرير يرجى ويقصد
فلا العسف بعد اليوم يثنيه صاغراً
ولا بابه المفتوح للنّور يوصد
لقد أرسل الرحمن منقذ خلقه
منار الهدى وهو النبي (محمّد)
يسدد للطاغوت أفتك طعنة
وللواحد القيوم يدعو ويعبد
وكم زعزع الطغيانَ حقٌّ مجلجلٌ
وكم دك للطغيان صرح ممرّد
هي الثورة العظمى على كلّ فاسد
هو الحق مهما صعد العسف يصمد

إلى أن يقول:

لئن أدبرت عن خالص النصح أمّة
وقامت لأهل النصح ترغي وتزبد
فلن يعدم الدّاعي إلى الله عصبة
تناصره والحق بالحق يسند

وبمثل هذا الحماس في الدعوة إلى الاسلام ومبادئه والوقوف أمام أعدائه نراه يستحث المسلمين على مواجهة

قضاياهم المصيرية بالصبر والمصابرة والجهاد والجلاد.. فيقول في قصيدة بعنوان «الله أكبر في الكفاح شعارهم» نظمها في ذكرى غزوة بدر الكبرى.. واستلهم منها العبرة، واستخلص درساً يصلح اليوم للمسلمين في جهادهم بفلسطين:

يا (بدر) إنّك فيصل ومنارة
تـوحي لأتباع الهدى بفخار
يا أهل بدر والزّمان مسجّل
سور البطولة مشعلا للساري
إنا لنركع للجلال تحيّة
توحي بمعنى العزّ والإكبار
(الله أكبر) في الكفاح شعارهم
أكرم بها من شارة وشعار
إنا نحيّي الذكريات تجلة
للخالدين هداتنا الأبرار
وبروحهم روح الفداء نخوضها
بالقدس تمحو طغمة الأشرار
النصر يبعثه الإله لجنده
والفوز للأبطال والثوّار

ويرى شاعرنا أن للأدب أثره الفعّال في توجيه الناس وأن للشعر دوره في إثارة النفوس وتحريك الهمم.. وأن على الأدباء

أن يبرزوا تراثنا الخصيب ويزيحوا عنه ما لحقه من أوهام وركام.. فينظم قصيدة بعنوان «واقعنا» يوجهها إلى مؤتمر للأدباء العرب يقول فيها:

ألا فليكن للشعر مركزه الفخم
ففي ملتقى الأحرار يحلو لنا النظم
ألا فانثروا تلك الكنانات ولتكن
سهام القسي المشرعات بها السمّ
فما ضجعة الأقوام إلا حصيلة
لنومة شحرور ألمّ به العقم
وما كان عزم اليعربي مثلّجا
وما كان خدّ الحرّ يلحقه اللطم
فهل صوّحت تلك الخميلة أم غدت
أجاديب لم يبرح جوانبها العدم؟
وهل أنّ أم الفارهين تقزّمت
فليس لها إلا المشوه والقزم؟
سوانا مع الأفلاك حلق باحثا
ليعلم ما يطوي بأحشائه النجم
ونحن قبعنا لا نحرّك ساكنا
كفانا هوانا ذلك الوخز واللكم

وخلفهمـــو نجري عبيـــداً أذلّـــة
لأكل فتـات مـا بـه الشحـم واللحـم
ومن عـاش يـرجـو مـن لئيم تكـرّمـا
فليس لـــه إلا القمامـــة والعظـــم
لنـا الخصـب في أحلامنـا، وتـراثنـا
خصيب إذا مـا زحـزح الوهـم والردم
لأمّتنـا الحســن الطبيعـــي مفـــرداً
ووجـه الحسـان البيـض يمسخـه الوشم

ويفقد دعاة الاسلام عَلَماً من أعلامهم في تونس.. ويطوي الموت صوتاً مجلجلاً قضى حياته يبشر بالإسلام ويجمع الناس عليه.. فيودعه الحبيب باللوعة والحزن وتفيض شاعريته بمراثٍ صادقة تصف فقيد الحركة الاسلامية في تونس العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله..

ومن مراثيـه في الفقيـد قصيـدة بعنـوان «فـأيـن الهداة المخلصون لدينهم» قال فيها:

ألا ليت شعري هل من الموت مهـربُ
وهـل يـدفـع المقـدور طـب يطبّـبُ
وهـل يقبـل المولى بـديلا وفـديـة
لمن لم يـزل دور الطليعـة يلعـب

فهـذا ولي الله مـن عـاش (طـاهـراً)
وخلّـد ذخـراً نبعـه ليس ينضـب
لقـد عـاش بين النـاس عيشـة مصلـح
وعيش ذوي الإصلاح مـرّ معـذّب
قليـل همـو الواعـون أهـداف نهجـه
وغيرهمـو نـاب عليـه ومخلـب

وقال يصف لقاءاته مع الشيخ الفقيد.. تلك اللقاءات التي تدارسا فيها أحوال المسلمين وقاما بتشخيص الداء ووصف الدواء لأمة قادها المضللون إلى مسالك الجهل وانحرفوا بها بعيداً عن الاسلام.. قال:

درسنـا مـع الشيـخ العظيم ظـروفنـا
وأوضـاعنـا والدرس واف ومسهـب
فكـان لبـاب الرأي أنّ شعـوبنـا
طـواهـا مـع الأيـام جهـل مـركّـب
يـزهـدهـا في منهـج الله كـاذب
يعلمـه التلفيـق مـن هـو أكـذب
يـدس على الاسلام مـا ليس ينطلي
على مـن لـه عقـل حصيـف مـدرّب
فلا بـد مـن بعـث صحيـح أسـاسـه
كتـاب مـن الرحمن جـاء يـؤدب

وهـدي رسـول الله مـن شـــاد أمّـة
على العلم والتـوحيـد تغـــزو فتغلـــب

هما العنصران الخالــــــــدان وفيهما
كنـــوز لمن عنهـــا مجداً ينقـــب

وكان رحمه الله ينزع في شعره منزعاً إلهياً، وخصوصاً إذا حزبه أمر، أو نابه مكروه، فهو لا يجد ملجأ إلا رب العالمين يعتصم بـه.. «ومـن يعتصم بـالله فقــد هــدي إلى صراط مستقيم».. قال في قصيدة من ابتهالاته بعنوان «الله»:

يـــا مخرج الأحيـــاء مـــن أمـــواتها
ومقيـــل رجـــل العبـــد مـــن عثراتها

ومخلـــص المصفـــود مـــن أصفـــاده
ومقـــدر الأقـــوات في أوقـــاتها

يـــا واحـــداً وســـع الخلائـــق بـــره
وحمى ضعـــاف الخلـــق مـــن آفـــاتها

أنـــت الملاذ لمن تطـــارده الدّنـــا
تحميـــه مـــن طغيـــانها وطغـــاتها

وقال في قصيدة بعنوان «الحمد لله»:

الحمـــــد لله ذي الامـــــداد والمدد
الحمـــد لله فـــوق الحصر والعـــدد

الحمـــــد لله في سرّ وفي علـــــن
الحمـــد لله في البـــأســـاء والرغـــد
الحمـــد لله بـــالأحشـــاء أجمعهـــا
وبـالفـؤاد وبـالـــوجــدان والجســـد
الحمـد لله عـــن ديـــن شرفـــت بـــه
وعــن هــدايـــة رب مفـــرد صمـــد

ومع استعراضنا السريع لألوان من شعره نرى أن الشيخ المستاوي شاعر ملتزم بالمعنى الإسلامي والمعنى الأدبي على السواء.. شاعر صوّر الحياة الواقعية لأبناء أمته وعاش معهم آمالهم وآلامهم، أفراحهم وأتراحهم، وعبر عن الرغبة في التماس حياة أفضل وأكمل.. شاعر آمن بالاسلام عقيدة ومنهاجاً للحياة، وصور المسلمين في ماضيهم المجيد، وأشفق عليهم في حاضرهم، وعبّر عن مستقبلهم الطموح..

وسوف أختم حديثي عن شعره بهذه القطعة التي تكشف عن مذهبه واتجاهاته في الحياة:

إلهي، لئــــن كــــــان مني اجتراح
لــــذنـــب فظيـــع، وعيـــب تـــراه
ومطـــل لـــديـــن، وتـــرك لحق
ولغــــو يــــردد بين الشفــــاه

وجـــري وراء طمـــوح كـــذوب
تكيفني كيـــف شـــاءت يـــداه
فـــإني أنبـــت إليـــك، وإني
محبّ لخير الورى مجتبـــــاه
وقلبي مليء بنـــــور اليقين
وروحـــــي محلّقـــة في سماه
أشـــارك أهـــل الشّقـــاء المريـــر
وأسعـــى لإنقـــاذهـــم مـــن لظـــاه
وأرثـــــــي لحال الأبي الهمام
إذا دهـــره في هـــوان رِمـــاه
وأنفـــر مـــن طـــائش أرعـــن
يـرى عـابثـاً سـاخـراً بـالأبـاه
ويسعـــدني مـــا أرى مـــن نعيم
يصرفـــه ربّـــه في تقـــاه
وأجمل شيء أهيم بـــــــه
وأنسى همـــومـــي إذا مـــا أراه
تـــوطـــد ركـــن الإخـــاء النـــزيـــه
وتـــوثيـــق أسبـــابـــه وعـــراه
وبســـط الأكـــف بـــرفـــد بـــريء
يـــراد بـــه وجهـــه لا ســـواه

ومحو السخـــائـــم مـــن أنفس
أنـــاخ بها الحقــد، ألقــى عصـــاه
هنـــائـــي رهين بما قـــد يـــرى
على بـــائس مـــن وفير الرفـــاه
فهــذا طـــريقـــي ولهو اتجاهـــي
ولســـــــت أرى غير ذا الاتجاه

مختاراتنا من شعره:

١ - «نداء».. قصيدة نظمها الشاعر في ذكرى المولد النبوي الشريف.. وصف فيها رسالة الرسول ﷺ وما حققت للبشرية من خير وهدى.. ووجهها إلى أمة الاسلام في هذه الأيام لتفيق من سباتها وتعود إلى سالف عزّها ومجدها.

٢ - قصيدة «لهيب العزم».. زفرات وحسرات.. انطلقت من قلب الشاعر لتثير النفوس وتهز القلوب وتوقظ النيام.. قصيدة تصف النار التي أحرقت الأقصى، واللهب الذي علا قبة الصخرة.. وتتحدث عن العرب الذين فقدوا غيرتهم وتبلد إحساسهم وكأنهم خشب مسنّدة.

٣ - «إلى الله أشكو».. كانت آخر قصيدة للشاعر.. وهي

قصيدة طويلة هادفة نشرت تباعاً على حلقات بمجلة «جوهر الاسلام» وكان القراء يتابعونها بشغف ولهفة لما امتازت به من جرأة وتصوير دقيق ونقد هادف لفئات مختلفة من المجتمع..

قصيدة منوعة القوافي.. في كل منها موضوع يكاد يكون مستقلاً عن سابقه ولاحقه..

قصيدة يتصدى فيها لأعداء الاسلام، والمنحرفين عنه من أبنائه.. فيناقشهم الحساب بوعي وإيمان.

نداء [1]

دينـــك السّمـــح سُلّـــم للمعـــالي
يـــا رســـولا دعـــا لكـــلّ كمالِ
دينـــك السمـــح فطـــرة الله عـــادت
مثلما أنشئـــــت بكـــــلّ جمال
أنـــت إشراقـــة الوجـــود تبـــدت
بـــاتـــزان وروعـــــة وجلال
أنـــــت أنشـــــودة السماء ولحن
رددتـــــه الأكـــــوان دون ملال
أنـت في الخلـد والفــراديس معنـــى
مـــن معـــاني التنعيم والإفضـــال
أنـــت رمـــز الوفـــاء للمثـــل الأعـ
ـلى وأنـــت المشيـــع للأمثـــال
لم تكـــن قبلـــك الحيـــاة وربّـــي
غير عســـف ومتعـــة وضلال

(١) ديوان الشاعر « مع الله » ص ٩

وبـأنـوارك المشعـة أضحـت
منبـع الخير والهدى والنـوال
لم تكـن قبلـك الحقيقـة إلاّ
تـرهـات وأضربـا مـن خيـال
أنـت فجّـرتها ينـابيـع علم
أنـت حطمـت محكـم الأغلال
إذ أزحـت النقـاب عـن كـلّ سرّ
وانتشلـت النهـى وأي انتشـال
ثمّ أطلقتهـا لترتـاد أفقـا
حسـب الجهـل غـزوه كـالمحـال
كم بفضـل العقـول حقـق كشـف
كـان قـدماً يـرى عـزيـز المنـال

* * *

بـارك الله (مـولـدا) لمعـان
أنـت أبـرزتها بكـلّ اعتـدال
أي وزن لحكمـة مـن حكيم
لم تـؤيّـد بصـادق الأفعـال؟
أنـت أعطيـت مـن سلـوكـك دينـا
سـوف يبقـى منـارة الاجيـال

كم تلقيت من أذى واعتساف؟
كم تحمّلت من صنوف النّكال؟
لم يصب قلبك الكبير بضيق
في ظروف شنيعة الأهوال
قد وسعت الورى بصفح جميل
إذ تناسيت ماضي الأنذال
فتربّعت في القلوب مقاما
لم ينل بعضه عظيم الرّجال
من ترى يملك البلاد ويبقى
مثلما كان في ظروف النضال؟
يحمل الكلّ يجعل التمر قوتا
يتغاضى عن محرجات العيال
وهو من هو في جلال وحكم
واتساع السلطان والأموال
من ترى غير (أحمد) الفذ يلفى
وهو بالفقر في جميل المحال
يستوي عنده النّعيم وضيق
شاكرا في المتاح من كل حال
ها هنا يكمن الخلود لدين
دائم الدفع دائم الاتصال

إنها المعجـــزات يقصر عنهـــا

كـلّ شهـم وسيـد مفضـــال

كم تخطّــى الزّمــان وهــو دؤوب

مـن تشـاريـع أمعنـت في الزوال

وتخطّـى خطـى الزمـان بـرفـق

ديـن (طـه) على مـدى الأجيـال

لم يـزل دينـك القـديم جـديـدا

لم يـزل سـابقـا بكـلّ مجال

صـارع الهول والحوادث صلبـا

ومضى هـادئـا شـديـد المحـال

أزمـات عنيفـة الوقـع مـرّت

مـا أراهـا إلاّ كمثـل الصقـال

ليس يفنـى النضـار حـرق بنـار

لا ولا الدفـن في بطـون الرمـال

* * *

إيـه يـا أمّـة الخلـود لماذا

فـاتـك الركـب؟ أفصحـي بـالمقـال

ليـت شعـري كم ذا يـدوم هجـوع؟

هـل أصيـب اتصـالنـا بـانفصـال؟

هــــل فتنـــا ببهـــرج وطلاء؟
وانتشينـــا بفـــارغ الأمـــال؟
ونبـــذنـــا تـــراثنـــا بـــازدراء
في عقـــوق وقحـــة وابتـــذال؟
أقفـر القلـــب والعـــزائـــم خـــارت
وأصيـــب الذكـــاء بـــالإمحال
ثمّ لـــذنـــا بكـــلّ عـــذر سخيـــف
شـــأن أهـــل المراء أهـــل الجدال
ونسبنـــا لـــديننـــا كـــلّ نقـــص
ورمينـــا دعـــاتـــه بـــالخبـــال

* * *

فـأفيقـوا ـ فـديتكـم ـ مـن سبـات
ارجعـوا ـ ويحكـم ـ بـدون مطـال

لهيب العزم[1]

مــزقــي صهيــون اشلاء العـــربْ
وافعلي مـا شئـت فـالقــوم خشـــبْ
مـــزقيهـــم دنسي اقـــداسهـــم
احـــرقيهـــم بلظـــى ذات لهب
فهـــم اليــــوم غثـــاء دأبهم
زخــرف القــول وتنميــق الخطــب
إذ أراهـــم والردى يجتـــاحهـــم
عبـدوا اللهـو وهـامــوا بــالطــرب
ام كلثــــوم وفيروز ومــــــن
لــف هــذا اللــف أغلى مـــا يحب
همهـم والخطـب ينكـــي جـــرحهـــم
والغـــد الاســـود منهـــم يقترب
شهـــوات البطـــن والفـــرج ومـــا
يقتـل الديــن ويــزري بــالحســب

(١) ديوان الشاعر «مع الله» ص ٢٠.

جاهليات وكفر وهوى
كل قلب قد غدا مثوى لرب
بلبلت أفكارهم يا ويحهم
من ترى يرجع مجدا قد سلب
نبذوا هدى كتاب محكم
ختم الله به كل الكتب
وإذا ما اجتمعت أقطابهم
فعلى حقد وأطماع وسب

* * *

ما أعد العرب من أجل الوغى
غير تهريج ولغو وصخب
وبنو الدنيا عبيد كلهم
للذي في حومة الحرب غلب
(مجلس الأمن) هراء باطل
كم تخلى وتدلى وهرب
وضمير (العالم الحر) هوى
كيف يخشى من ضمير مضطرب
وبنو (لينين) أعداء الهدى
ما عرفنا منهم غير اللعب

منيـة « السفيـات » و « الغـرب » معـا
أن يظـل العـرب دومـا في شغـب
أنفـذوا في جسمنـا جـرثـومـة
حـار في استئصالها أبـرع طـب
شردوا شعبـا وأعطـوا أرضـه
كـل أفـاك وجبـار وخـب
حظهـم عطـف ودعـم وغنـى
حظنـا عـري وذل وشغـب

* * *

سـادة الدنيـا يهود مـن تـرى
يملك الماس ويغـري بـالـذهـب
قـد بلـونـاهـم فما كـانـوا سـوى
أهـل مكـر ومـراء وكـذب
قطعـوا في كـل أرض أمما
لم يصـب أوصـالهم أي عطـب
وحـدة الأهـداف والديـن اقتضـت
منهـم التـوحيـد إن خطـب حـزب
سبقـوا في العلم والمال فما
أهمـل الشرط ولا ضـاع السبـب

آمنــوا بـــالقـــدس والرب ومـــا

يجمع الشمـل ويعلــو بــالــرتــب

كم رأينـــا قلـــة مـــؤمنـــة

حققـــــت نصراً على جيش لجب

وكتـــــاب الله يتلى بيننـــــا

هكــذا قــال ومــا فيـــه ريـــب

منطـق الأحـــداث عــدل شــاهــد

فــاســأل التــاريــخ بـــالحق يجب

قــد حــدا الدهـــر ذليلا ركبنـــا

وجثـــا أعـــداؤنـــا فـــوق الركـــب

يـــوم كنـــا أمـــة تجمعنـــا

وحـــدة الديـــن وأعـــراق النســـب

أتـــرى هـــل يبسم الدهـــر لنـــا

ويعـود الأمـــن كـــي تجلى الكـــرب

أتـرى هـل نـــرعـــوي عـــن غينـــا

أم نظـــل الدهـــر في أعمـــق جـــب

* * *

أمـــة الإسلام هـــل يـــوقظهـــا

مشهـــد الأقصى ونـــار تلتهـــب

أمــة القــرآن هــل يــؤلمهــا
مسجــد الصخــرة وهــو المكتئــب
أمــة القــرآن هــل يجمعهـــا
مجدهــا الموؤود مــذ أقصى الحقــب
ليتهــا تسمــع مــن ينصحهــا
تــرأب الصــدع وتــأتي بــالعجــب
ليتهــا يخرج منهــا قــائـــد
يبعــث الديــن فتنــزاح الحجــب
كـ (ـابـن تشفين) و (قطـز) بعــده
(وصلاح الديـــن) لما أن وثـــب
لم تــزل تملــك خــامــات النهــى
لم تـــزل تنجــب آلاف النجــب
فـوق ظهــر الأرض خصــب وثــرا
وببطـــن الأرض كنـــز يحتلـــب
إنـــه البترول مـــن يملكـــه
يملــك الدعــم ويثرى بـــالنشــب
أهـدرت طـاقـات قــومــي كلهــا
ما جنـوا منهـا سـوى طعـم الشجـب
لـــو جمعنـــاهـــا فلم نعبـــث بها
لم نعـــوق دون قصـــد أو نخب

فــافيقــوا ويحكــم طــال الونـــى
والعبــوا في الكــون دور المنتخـــب
همـــة الإنســان لـــو علقهـــا
بمراد فــوق هـــامـــات الشهـــب
لا نثنـــى بعـــد جهـــاد صـــادق
يحمـــل النصر ويفتـــكُّ الأرب
إنما الإيمان شرط لازم
فـــاذا مـــا اختـــل ســاء المنقلـــب
كم شعــوب بعثـــت مـــن نكبـــة
وأمـــان أدركـــت إثـــر نصـــب
ولهيـــب النـــار لـــن نسعـــره
دون ريـــح وثقـــاب وحطـــب
هبـــت الريـــح فمـــن يمسكهـــا
وحريـــق هـــائـــل ســـوف يشـــب
فـافعلي (صهيـون) مـا شئـت، غـدا
يثـــأر الليـــث إذا الليـــث غضـــب
ردد الثـــائـــر مـــن أعماقـــه
(جـــاء نصر الله) والفتـــح اقترب

إلى الله أشكو[1]

إلى الله أشكـــــو ومـــــا غيره
يــرجــى لما مسّنــا مـــن هـــوان
تمزّق بين الورى شملنـــــــــا
وغـاضـت ينـابيعنـا مـن زمـان
وديســت قــداســاتنــا جهــرة
فهـل ثـار، يـا قـوم، غير اللسـان؟!
إذا مـــا اجتمعنـــا على معضـــل
لنـــدرســـه بيننـــا بـــاتـــزان
قضينـــا ليـــالي مـــن عمـــرنـــا
نهايتهـــا أن نصـــوغ البيـــان
ونـأكـل مـا نشتهـي مـن طعـام
ونخطـــب والخصم دومـــا يُـــدان
ومـــا خصمنـــا غـــائـــب أو بعيـــد
ولكنـــه في الحشـــا والجنـــان

(١) ديوان الشاعر «مع الله» ص ٨١.

فنم أيها الخصم مـــلء الجفـــون
ودم في هنـــاء ودم في أمـــان
فمـــن رام سحـــق العـــدا مخلصـــا
تـــدرع بـــالصمـــت في كـــلّ آن
وأضحـــى يجمـــع طـــاقـــاتـــه
ليقـــذفهـــا في مجال الرهـــان

* * *

إلى الله أشكـــو ضيـــاع الرجـــولـــة
ومـا كـان في قـومنـا مـن فحـولـه
تبـــوئهـــم عـــاليـــات المعـــالي
وتنـــزلهم شـــامخات البطـــولـــة
وتلـــزمهـــم بـــالـــوفـــاء بعهـــد
ولـو عنهمـو الموت أرخـى سـدولـه
وسفـــر العلا نـــاطـــق مشرع
فقـد كـان حيّـاً وكـانـوا فصـولـه
عمالقـــة مجدهـــم ســـامـــق
فـأنّـى لخصم عنـا أن يطـولـه؟
فكـــانـــوا نســـوراً وكنّـــا بغـــاثـــا
وكـانـوا خميسـا وكنّـا فلـولـه

نلطخهم إن نسبنا إليهم
فتبّا لمن لم يشرف أصوله
وسحقا لمن خان عهد الجدود
وحطم ما قد بنوا بسهوله
فللموت خير له من حياة
تعد على الحرّ جدّ ثقيلة
سنرقب حتماً بزوغ هلال
متى يا ترى؟ قد سئمنا أفوله

* * *

إلى الله أشكو ضياع الأمانة
وما قد فشا بيننا من خيانه
تحطّمنا، فهي داء وبيل
وموت لروح الإخا والديانة
فكم من بلاد وكم من شعوب
بها أصبحت بعد عزّ مهانة؟!
أجل، أيّ عزّ نراه لقوم
أماناتهم لا تكون مصانة؟
فمن خان في مطمح تافه
لقد أضعفت فيه تلك المتانة

وأي حيـــاة لمن خـــان دينـــا

وأبــدلــه بــالهوى والمجـــانـــة؟

وهـل فـرق النّـاس مـن بعـد جمع

سوى بعدهـم عـن جلال الرصـانـة؟

لنـا أنفس أمـرهـا مـذهـل

تـورطنـا وهـي ليسـت مـدانـة

يعـاضـدهـا حـاقـد مـاكـر

غـوي يسـدد دومـا سنـانـه

فيـا مـالـك الملكـوت أجـرنـا

إليـك الهروب ومنـك الحصـانـة

* * *

إلى الله أشكـو ضيـاع الفضيلـة

ومـا قـد فشـا بيننـا مـن رذيلـة

نمارسهـا في وضـوح ودعـر

ولا نستحـي أو نـراهـا ثقيلـة

فـأيـن الكـرامـة؟ أيـن الحيـاء؟

وأيـن الصيـانـة؟ ولـت ذليلـة

نـراهـا شروط البنـاء الصحيـح

ويحسبهـا غيرنـا كـالـدخيلـة

دعونا ولم ندّخر جهدنا
وسقنا إلى كل حكم دليلة
فلم نلمح الصبح من ليلنا
وليست لنار بنا أي حيلة
فماذا على العبد وهو الضعيف
إذا لم تمهد - إلهي - سبيله؟
فيا رب أنى المرجى لقوم
عقولهمو خاويات هزيلة
وأنفسهم لم تعالج بدين
فأضحت - وحقك - حقّا عليلة
فمنك الهداية إنا ضللنا
ومنك الإعانة أنت الوسيلة

* * *

إلى الله أشكو قساوة قومي
وبعدهمو عن طريق الصواب
لهم محكم من كتاب قويم
يجنبهم موجبات التباب
ووحي يبلغه مرسل
يبيّن للنّاس آي الكتاب

يبشّــرهــم بــالــرّضــا والجنــان
وينْذرهم مـن شـديـد العـذاب
هما مبعــث الخير في كــــل شيء
هما عصمـــة مـــن دواعـــي الخراب
وقــد حــاد أهــل الكتــاب المبين
عــن الحق لا رغبـــة في الذّهـــاب
فيـا خـالقـي لا تــذرهــم حيــارى
وسهّــل عليهــم طــريــق المتــاب
فمنـك البـدايـات يـا خـالقـي
ومنــك النهــايــات حســـن المآب
أتـــرضى - إلهي - لأمـــة طـــه
حبيبـك - ربّـي - شنيـع العقـاب؟
فليس لنـــا مهـــرب أو نجاة
إذا لم يفتــح لنـــا منـــك بـــاب

* * *

إلى الله أشكـــو رجـــال السيــاســة
لما عنـدهـم مـن بـديـع الكيـاســة
زمـــام العبـــاد بـــأيـــديهمـــو
يقـــودون للطهـــر أو للنجـــاســة

وأمّتنـــا شـــأنها واضـــح
تسير مـع مـن أتتـه الرّئــاسـة
لنـا سـاسـة جـرّبـوا أمـرنـا
غـداة الوغـى بـل وذاقـوا مـراسـه
جعلنـا مصـائـرنـا عنـدهـم
ولم نتهمهـم بلـؤم النخـاسـة
وخـامـاتنـا لـو أعـدت بعلم
وديـن متين أقمنـا أسـاسـه
لما دام هـذا التخلّـف دهـرا
ومـا طـأطـأ الشعـب للخصم رأسـه
فلـن يهزم المسلمـون لخوف
ولـن ينعتـوا بـالـونـى والخسـاسـة
ولكـن حكّـامنـا فـرّطـوا
ولـولاهمـو مـا رأينـا انتكـاسـه

* * *

إلى الله أشكـور مـراء اليهـود
وكـلّ عتـل غليـظ كنـود
أراهـم تنـاسـوا، عنـادا ولـؤمـا
حقـائقنـا منـذ عهـد الجدود

وجاسوا خلال الديار وعاثوا
بكلّ الحقوق وكلّ العهود
فيا لعنة الدهر صبي شواظا
على ذلك الشعب: شعب القرود
ويا أيها العرب، مالي أراكم
عن الثأر أصبحتمو في رقود؟
جدودكمو أخرجوا المعجزات
أترضون أن ترسفوا في القيود؟
فلم يمنح الله للخلق خيرا
يضاهي الذي عندكم في الوجود
فأنتم هداة، وأنتم كماة
وأنتم غداة الوغى كالأسود
ولم يتخذ ربّنا من سواكم
لملّته حارساً للحدود
فهل صوح النبت: نبت الرّبيع؟
وهل أحرقته بنات الرعود؟

* * *

إلى الله أشكو كنوزا مضاعة
ومالا وفيراً مشى في الخلاعة

لقــد ســاق ربّــي لنــا ثــروة
تفـوق الصنـاعـة، بــل والزّراعـة
سيـول مـن النفـط في أرض قـومـي
فـأيـن الفـوائـد؟ أيـن النجـاعـه؟
أرى البعــض في كظــة مــدنفــا
ومـن حـولـه إخـوة في المجـاعـه
فـأيـن التعـاطـف؟ أيــن الإخـاء
وأيـن التـديـن؟ أيــن القنـاعـة؟
معـــان دعـــانـــا لها ربّنـــا
بــديــن يــؤكــد حكــم الجماعـة
وطــاعــة ربّــي عيــاذ منيــع
فلهــو المعــزّ لمن قــد أطــاعــه
ومــن ســار في نهجــه مــؤمنــا
سيبقـى مــدى دهــره في منـاعـه
ومــن زاغ عــن قصــده مبلســا
سيشملــه حكــم أهــل الشنـاعـه
فيــا رب رفقــا بــأمّــة طــه
حبيبـك فـاقبـل ـ إلهي ـ الشفـاعـه

* * *

إلى الله أشكـــو اجتماع الأعـــادي

على خنـــق ملّتنـــا في البلاد

تـــوحـــد أهـــل الصليـــب جميعـــا

وفي ركبهـــم كـــلّ أهـــل الفســـاد

وأبنـــاء صهيـــون مـــن حـــولهم

يجيـــدون فـــن الدهـــا والعنـــاد

وكـــلّ الذي لـــونـــه أحمر

على قتـــل ديـــن الهدى والرّشـــاد

فـأنّـــى تـــوجهـــت في أي صـــوب

ستلقـــى مكـــائـــدهـــم في ازديـــاد

ففـــي قـــدسنـــا ألـــف شرّ وشرّ

وفي الهنـــد والصين كـــلّ اضطهـــاد

(فلبين)[1] أيضـــاً بها مـــأتم

وثـــورة شعـــب عظيم الجهـــاد

وفي (ارتـــريـــا)[1] مجازر كبرى

وشعـــب يـــراد بغير المراد

يـــذبحه حبشي جحـــود

وقـــد بـــحّ صـــوت الجريـــح المنـــادي

---

(١) الفلبين وإرتيريا والعفر وعيسى (جيبوتي) بلدان يلاقي فيها المسلمون عنتاً كبيراً واضطهاداً سافراً من ظالميهم.

وفي (العفر) حـرق وشنـق مـريـع

فثبـــط عـــن الشر تلـــك الأيـــادي

* * *

إلى الله أشكـــو اضطهـــاد الدعـــاة

وخنقهمـــو في جميـــع الجهـــات

وصـــب البلاء عليهـــم جميعـــا

ورميهمـــو بعـــديـــد الهنـــات

فما وهـــن العـــزم منهـــم، ولكـــن

تعطّـــل سير الخطـــى الثّـــابتـــات

لهم مطمـــح في رضـــا خـــالـــق

وإحـــراز تلـــك الذرى العـــاليـــات

يـــريـــدون أن ينشروا دينهـــم

ومـــا فيـــه مـــن أنهج واضحـــات

شعـــارهمـــو الحبّ في كـــلّ حـــال

ونشر الفضـــائـــل والمنجيـــات

وقـــد حـــرف المغـــرضـــون كلامـــا

لهم واضحـــا صـــادق النبرات

وكـــالـــوا وكـــادوا ولم يـــرعـــووا

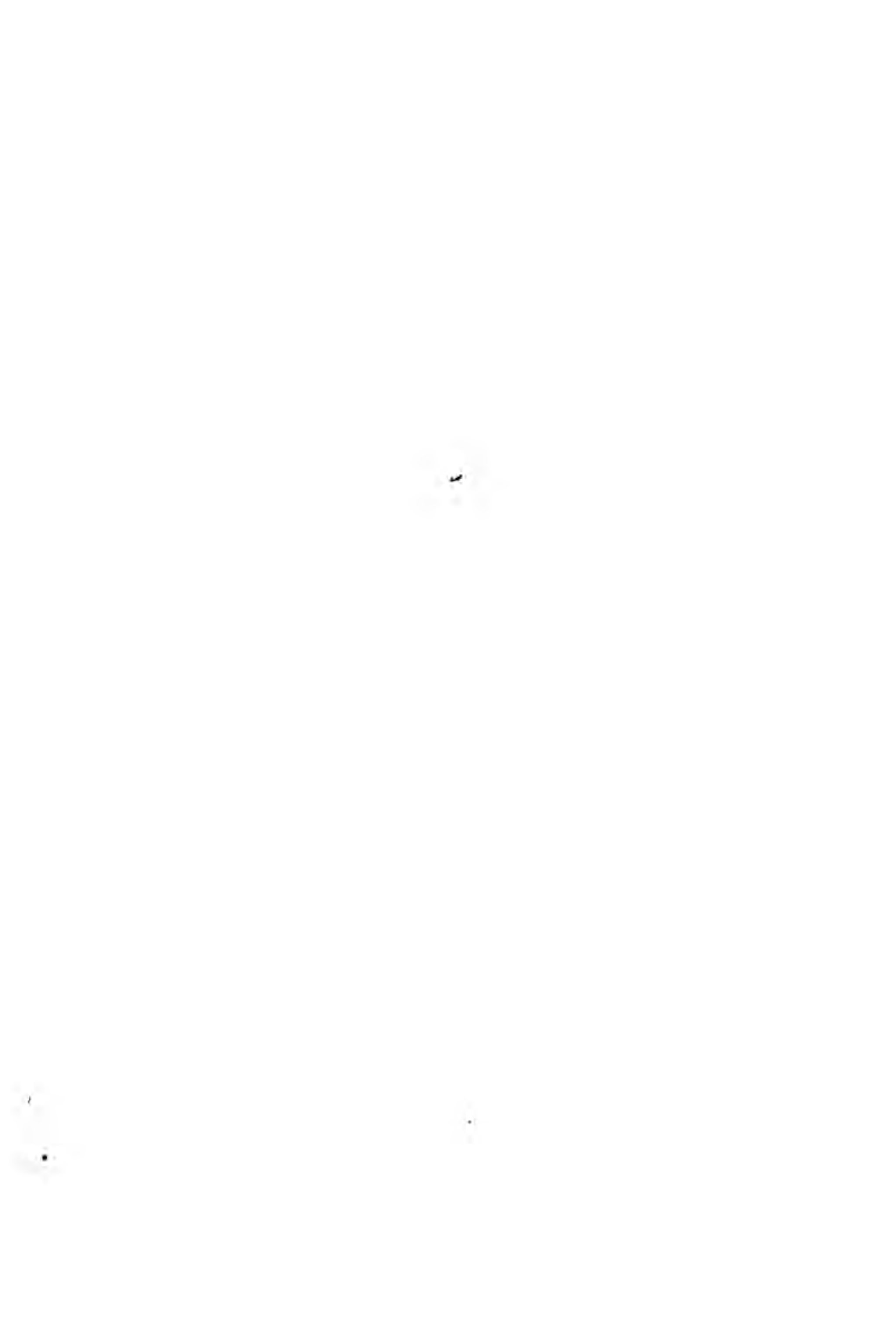
عـــن الدس أف لهم مـــن بغـــاة

ولكـــن ربّـــاً عظيماً يـــراهـــم
وينقــذهــم رغــم أنــف العتـــاة
فمـــن ينصر الله ينعـــم بنصر
عـــزيـــز قـــريـــب بهذي الحيـــاة

* * *

أيـــا رب أنـــت الرّؤوف الرّحيم
وأنـــت الغفـــور، وأنـــت الحليم
دعـــونـــاك دعـــوة عبـــد ضعيـــف
يقـــربـــه منـــك حـــبّ عظيم
رأى أمّـــة حـــالها مشفـــق
تـــديـــن بـــدينـــك أنـــت العليم
ولم يبـــق في الأرض ديـــن ســـواه
سليم نظيـــف بـــريء قـــويم
أغثهـــا ـ إلهي ـ بحرمـــة طـــه
فـأنـــت المغيـــث، وأنـــت الكـــريم
أيعجـــز ربّـــي ـ تعـــالى جلالا
عـن العجـز ـ خطـــب مهـــول جسيم
ففـــرّج كـــروبـــا تـــوالت دهـــورا
وكـــرب يطـــول دهـــوراً يضيم

وحطم خصوما، وشرد جموعا
فخصم الحنيفة خب لئيم
لئن حاد قومي غروراً وجهلا
فجهلهمو واثق مستقيم
وكن لي معينا، أيا خالقي
فإني على العهد دوما مقيم



محمد علي صوّان

حياته :

ولد الشاعر محمد علي صوّان عام ١٩٣٢ م في ناحية معرة مصرين من محافظة إدلب في سورية، وهي بلدة زراعية ذات مناخ لطيف تحفها الكروم وأشجار الزيتون وتحيط بها سهول زراعية جيدة التربة خصبة العطاء..

ونشأ في بيت كريم، والتحق بمدرسة البلدة ونال منها شهادة الدراسة الابتدائية عام ١٩٤٤ م. وانقطع بعدها عن الدراسة لظروف أجبرته على الانقطاع ثلاث سنوات عاد بعدها ليتم دراسته الاعدادية في ثانوية المتنبي بإدلب ونال شهادة الدراسة الاعدادية عام ١٩٥١ م. ثم التحق بثانوية المأمون بحلب عام ١٩٥٢ م وقبل أن يتم الثانوية انقطع عن الدراسة لاسباب مرضية.. ثم اجتاز دورة انتقاء المعلمين حيث عمل في التعليم أعواماً ما لبث بعدها أن تقدم لامتحان الثانوية الأدبية فنال الشهادة عام ١٩٥٧ م.. ونظم خلال هذه الأعوام ديوانه الشعري المخطوط «همسات خاطر».

وفي عام ١٩٥٨ م انتسب إلى كلية الحقوق في دمشق وصار يقضي نهاره في التعليم وليله في التعلم حتى حاز على إجازة الحقوق عام ١٩٦٢ م. ثم ترك التعليم عام ١٩٦٤ م وانتسب إلى نقابة المحامين في حلب ومارس المحاماة حتى عام ١٩٨٠ م. وبقي في عمل المحاماة حتى دعاه داعي الجهاد فلبّى النداء مع ولده الشاب المجاهد محمد ياسر تاركا زخرف الدنيا وزينتها.

شعره:

مضى على المسلمين حين من الدهر، والجهاد أمنيات في نفوسهم، وكلمات على ألسنتهم.. حتى قام شباب الحركة الإسلامية يقرنون القول بالعمل، ويجاهدون فكريا وسياسيا وعسكريا، ليصنعوا التاريخ الاسلامي من جديد، وليحرروا الأمة من الطواغيت، وليردوا إليها أملها فتستأنف حياتها الإسلامية في ظل شريعة الله الخالدة بعد أن عانت الويلات والنكبات والكوارث في ظل شرائع العبيد وحكم الجاهلية.. وكان شاعرنا من بين هؤلاء الدعاة الأطهار الذين رفعوا راية الجهاد وجاهدوا بأقلامهم وأموالهم وأنفسهم، وتطلعوا إلى جنة الخلد، وأيقنوا بوعد الله [وإنّ جندنا لهم الغالبون].. لقد وهب حياته وشعره للحركة الإسلامية يبين مزاياها ويوضح أهدافها ويرد على أعدائها.. فسجل في شعره مواقف

المجاهدين.. وصفها ورفع صوته مدافعا عنها ومؤيدا لها.. فهو إما داعيا لجهاد أو راثيا لشهيد أو منبها لخطر يحيق بأهل الإسلام أو باكيا لمصيبة حلت بالمسلمين..

قال يصف تركه زخرف الحياة ونعيمها وركضه إلى الجهاد:

فلقد تركت لوجه ربي حلة.
قد كنت فيها هانئا أتنعّم
وتركت أهلي واعتزاز عشيرة
ما صعّرت خداً ولا هي تلطم
وتركت داراً لا تطال منيعة
إن المروءة خير سور يعصم
وتركت زغب القلب حول حليلة
تغضي حياءً من حياة تسئم
وفتى هزبراً بالسلاح مدججاً
أعيا جنود البغي لا يستسلم
ألِفَ الجبال الشامخات وفوقه
طيران طاغية يحوم ويجثم
أودعتهم ربّاه رحمتك التي
أحنى من الأم الرؤوم وأرحم

لقد عاش الشاعر صوّان في هذا العصر الذي ورثت فيه الدعوة الاسلامية تركة مثقلة بالكثير من العناء، نتيجة بعد المسلمين عن دينهم في منابعه الأصيلة الصافية، ومجافاتهم للمنهج الإسلامي الصحيح في مجال الفكر والحياة.. وشاهد شعوب أمتنا تلهث وراء الحضارة المستوردة، فقال يتهكم بالمتفرنجين المقلدين للغرب والشرق.. أولئك الذين يقلدون أسيادهم الأجانب في كل شيء حتى دخلوا معهم حجر الضب:

ظنّوا الحضارة في أثواب سادتهم
فاستحيت المَعْز إذ أثوابَهم شَكَلوا
ظنوا التقدم في تقليدهم فَغَدَوْا
من حيثما سَعَلَ الأسياد هم سعلوا
هم علّة قد رَبَتْ في قلب أمّتنا
ومصدر الدّاء من جرثوم ما نقلوا
مهازل حَجَّبَتْ نبراس خالقنا
فضاع قومي وضاع الرّسمُ والطّلل

ورأى الشاعر أن الأعداد يبتدعون في محاربة الإسلام كل يوم سلاحاً جديداً، ويحيكون مؤامرة جديدة، وكثيرا ما يحاولون الإتيان على البناء من الداخل، على أيدي من ينتسبون

إلى الإسلام ويتسمّون بأسماء بني جلدتنا وقومنا.. فأخذ يتتبع تاريخ الأمة الإسلامية ويذكرها بأمجادها.. وقام بفضح الدخلاء والعملاء الذين أمضوا حياتهم عونا للأعداء.. فقال:

لما جَلَوْنا فرنسا من بكى فَرَحاً؟
ومَنْ بكى حَزَناً؟ إذ عَوْدَها طَلَبا
كُنّا نرى العيش في ظل السُّيوف وما
رأيتُمُ العيش إلاّ ظِلَّ من غَصَبا
وكم سَقَيْنا الحمى بين الرصاص دَماً؟
وريقكُمْ قد سقى الباغين وانْحَلَبا
لما الصّليبيّة استَمْرَتْ دِما وطني
كُنْتم مخالبها والنابَ والشّنبا
حتى أتاكُمْ صلاحُ الدّين منتصراً
فاستَسْهَلَ الميْتُ والحَيُّ اعتلا الحَدَبا
وعُدْتُمُ للشّآم اليومَ إذْ نَسِيَتْ
في بُعْدِكُمْ نُوَباً كُنْتُمْ بها نُوَبا
يا لَهْفَ نفسي أتنسى أُمّتي مِحَناً؟
وهل تَضِلُّ وما نورُ الإله خَبا؟

والأستاذ صوّان شاعر مجاهد قضى شبابه داعيا إلى الله كارها للظلم وحياة الذل.. شاعر أمضى أيامه ولياليه متحفزاً متوثباً وما إن لامست صيحة الجهاد مسامعه حتى كان في

مقدمة الملبين رغم كبر سنه.. وفي هذا المعنى نقرأ أبياتاً من قصيدته التي نظمها بعنوان «اهنأ مشيبي في اللقاء الأرْوَع» وقدمها لإخوانه الذين ضمه وإياهم خندق الجهاد.. أولئك الشباب الذين أبوا الانحناء للمخلوق فأعلنوها ثورة للخالق وأسرجوا كل ضامر وتوكلوا على الله القوي القادر.. قال فيها:

ما العُمْرُ أن أحيا مطيّة ظالم
كالعَيْر تُعقل أو تُناخ بمربع
أنا ما ركعْتُ لغير ربٍّ خالقٍ
يا نَفْسُ: إيهِ بما أُمرْنا فاصدعي
إن زاغت الدُّنيا فلا تتردّدي
وكتابُ ربِّك خيرُ هادٍ فارفعي
ودعي الحياةَ ذليلة لذليلها
يلهو بأطماع الدُّنا وترَفّعي
يا نفسُ: يدعوكِ المُهيمن فانتضي
سيف الجهاد وكبّري وتضرّعي
«فاللهُ أكبرُ» لن يُدنّسَ فاجرٌ
عِرْضي ويعبث في الجبين الناصع
«والله أكبرُ» يا ثكالى كفكفي
دمْعاً وصيحي بالظّلوم المُفْجعِ

يــا ظــالماً تخِذَ المُدامــةَ مــن دمــي
حتى أعيش لــه كعبــدٍ خــانــع
يا نفسُ: ربٌّ العرش ربُّك فـاستحـي
أن تنحني لســواه أو أن تخضعــي
طاش الطُّغاةُ فيا ذُرى الكون اشْهَـدي
طَعْني وخُطّـي يــا أسِنّــةُ مضجعــي
وإذا نَعَتْـنِ النّـائحـاتُ فــزغــردي
سَمْرا: ويـا حُمْـرَ القـذائـف لَعْلِعـي
فلقد تَخِـذْتُـكِ في المشيــب خليلــةً
وهَجَرْتُ غَيْـرَكِ والخنـادقُ مهجعـي
فــإذا تبَسَّمَــتِ القيــانُ لفــاجــرٍ
فتبسّمـي لي يــا قنــابــلُ والمعــي
خَسِـىءَ الجبـانُ فما الحيــاةُ بــذلّــةٍ
تُنجـي ولا تُـدْني الحميّـةُ مَصْرَعــي
ربّــاهُ: إنْ عقَــدَ الطُّغــاةُ تحالفــاً
خسئـوا إذا مـا كنـتَ يـا ربّـي معـي

ويرى الشاعر إخوانه المجاهدين عام ١٩٨١ م يقتحمون ميادين الجهاد يحاربون الظلم والطغـاة، ويقـدمـون أرواحهـم الطاهرة فداء لدعوتهم وعقيدتهم.. ويرى الحركة الإسلامية تقدم كل يوم شهيداً بل شهداء يزيدون في وضوح الرؤية

وتحديد معالم الطريق.. فينظم قصيدة بعنوان «أحباب قلبي لكم في ذمّتي ذِمَمٌ».. نظمها وفاء لعهده مع الشهداء.. وكتبها بدماء قلبه وخطها بدموع عينيه.. قال فيها:

إخوانَ قلبي وكلٌّ «ياسرٌ» وله
دمعٌ سكوبٌ وما مُيِّزْتُمُ رُتبا
كم حاضِرٍ وسُوَيْداءُ العُيون له
وغائبٍ وسُوَيْداءَ الحشا سَلَبا
سامَحْتُ مَنْ قد مضى إذْ لم يَدَعْ كبدي
أبقى الحنينَ فَلِمْ في غَبْنِهِ دَأبا؟
يا سالبي مُهْجَةً بالغُلْب راضيةً
ومن يكن قلبُهُ مع حِبِّهِ غَلَبا
أزال حُبُّكُمُ فَرْقَ السِّنينَ بنا
فَعُدْتُ فيكم أخاً إذْ كنت قبلُ أبا
فليْتَ مُبْعِدَكُمْ عنّا يُقَرِّبُنا
في مُسْتَقَرٍّ بغير البُعْدِ ما اقتربا

مختاراتنا من شعره:

١ - «حِبُّ البندقية».. قصيدة نظمها الشاعر عام ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م، وأهداها إلى إخوانه المجاهدين شباب الحركة الاسلامية إبان ثورتهم المباركة ضد الظلم

والطغيان.. قصيدة اتخذ فيها الشاعر البندقية رفيقة وهجر غيرها من الرفاق، واتخذ من خندق الجهاد له مهجعاً وترك للمتخاذلين مهاجع الذلة والهوان.

٢ - «رثاء مجاهد لولده الشهيد».. قصيدة نابعة من قلب أب مجاهد لابن مجاهد شهيد فجاءت حارّة العبرة صادقة اللوعة.. نظمها الشاعر بعد وداع ولده الشهيد «محمد ياسر» لأهله إذ قال: «ليست غايتي في الكون أكل وشرب ونوم فالحمار والخروف يفعل هذا.. إن لي غاية في الوجود هي إعلاء دين الله في الأرض فإما حياة بنصر الإسلام أو جنة عرضها السماوات والأرض.. فيا أبي والله ما شعرت بحلاوة الإيمان في لحظة كما شعرت بها إذ اعتقلت بالأمس وعصرني الدولاب فناجيت ربي [يا رب روحي لك فإن أخذتها الآن فلك الحمد على ما أعطيت وأخذت وإن أجّلتها لوقت آخر فلك الحمد على ما أعطيت وأبقيت] والله لقد شعرت أن الله يؤانسني من كل جانب فيالشقاء الملحدين الذين لا يقرّون بأن لهم رباً يؤانس في الشدة.. ويا أبي ادفع مهر عروسي لإخواني المجاهدين فلقد تكفّل الله بالعروس وجهازها.. ولقد طلقت الدنيا رغبة بخالقها فامدد يمينك يا أبي معاهداً لله

واركب سفينة الجهاد فالله ربانها..»

٣ - «رسالة مجاهد لأمّه».. قصيدة نظمها الشاعر عام ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م أهداها إلى الأخوات أمهات المجاهدين [مصانع الأبطال] اللاتي قدّمن لدينهنّ أفلاذ أكبادهن مغاويراً من الرجال يدكون معاقل الظلم ومواخير الاستعباد ولا ينحنون إلا لرب العباد.

حبُّ البندقية

سَمْراءُ أَحْبَبْتُهـا حُبًّـا إلى الأَبَـدِ
وَلَفْظُها[1] بعـد عَـوْنِ الله مُعْتَمَـدي

سمـراءُ قـامَتُهـا الهَيْفـاءُ ضـاوِيَـةٌ
والثَّغْـرُ مُبْتَسِـمٌ والقلْـبُ في كَمَـدِ

إنْ جُنَّ لَيْلُـكَ كـانـت خير مُـؤْنِسَـةٍ
مَحْفـوظَـةَ السِّـر لا تـوشي إلى أحَـد

خَـرْسـاءُ مـا نَطَقَـتْ إلاّ بمكْـرُمَـةٍ
إنْ زَغْرَدَتْ قَرَرَتْ حقـي ومُسْتَنَـدي

عذراءُ ما خالَطَتْ أُنْثـى ولا خَجِلَـتْ
مـن الشّبـاب فعـانِقْهـا بلا عَـدَدِ

مـا ضَـرَّ عِفّتَهـا تقبيـلُ وَجْنَتِهـا
أو لَمْسُ أُنْمُلِهـا عُـرْيـانَـةَ الجَسَـدِ

إن لامَسَ الخَدُّ مني خـدّهـا ارتعشـت
وَوَلْـوَلَـتْ في لهيـب غَيْـرِ مُتَّقِـدِ

---

(١) لفظها: ما تلفظه من الرصاص.

عاشَـرْتُهـا في الصِّبـا عَهْـداً نَحِـنُّ لـه
وما انقضى راحَ لا تَلْقـاهُ للأَبَـدِ

أمْسَيْتُ أجْـذُبُهـا والشَّيْـبُ يُنْشِـزُهـا
والحُبُّ آفَـةُ قَلْـبٍ غَيْـرِ مَتَّحِـدِ

وعُـدْتُ أجْـذُبُهـا بعـد المشيـب فلا
ألْقَ الذي كُنْتُ قـد ألقـاهُ مـن أَحَـدِ

عـاتَبْتُهـا فـانْبَـرَتْ في الحال قـائِلَـةً
هَلْ بعد شَيْبِكَ تَصْبـو أن تنـال يـدي

أقْنَعْتُهـا إنْ مشيبي غـابَ أسْحَمُـهُ[2]
ما شابَ عزمي ولا صبري ولا جَلَـدي

فاهْنـأ مشيبي بها مِـنْ بعـدمـا أَنِسَـتْ
في يـوم مَعْمَعَـةٍ أُشْفـي بها كبـدي

دَحْراً لِظُلْـمٍ عَلا في الأرض مَفْسَـدَةً
يـا غيرَةَ الله جُـدّي السَّيْـر واجتهـدي

هذي بلادي بسيف الدّين قد فُتِحَـتْ
أَضْحـى يُهـانُ بها ديني ومُعْتَقَـدي

فعُصْبَـةُ الكُفْـرِ تجثـو فـوق هـامتهـا
وَلاّغَةً مـن دمـي والتُّـرْبُ منـه نَـدي

---

(٢) أسحمه: أسْوَدُهُ.

نَهّاشَةَ العِرْضِ ما اهْتَزَّتْ ضمائِرُها
لِهَتْكِ سِتْرٍ ولا آهاتِ مُضْطَهَدِ

فالسَّوْطُ والنَّفْخُ والخازوقُ شِرْعَتُها
والثَّدْيُ يُجْتَثُّ بالمِقْراضِ والعُدَدِ

والكَبْلُ ذو السِّنِّ [1] تُهْري اللَّحْمَ ضَرْبَتُهُ
وفَوْقَهُ الكَهْرَبا نارٌ على عَمَدِ

مَوْتٌ تُنَوِّعُهُ (موسكو) لِأُمَّتِنا
في شَهْوَةٍ لم تَدُرْ في الذِّهْنِ والخَلَدِ

إنْ يَجْمَعِ البَغْيُ والطّاغوتُ عُصْبَتَهُ
يا أُمّتي جاء أمْرُ الله فاحْتَشِدي

يا أُمّةَ الحقّ كَمْ بَلْوَى قد انْقَشَعَتْ
عن شعبنا غير بلوى الخوف والفَنَدِ

تُحْنى الجُذوعُ لِكُفْرٍ دون خالِقِها
والشّعْبُ يُسْقَى كُؤوسَ الذُّلِّ والنكَدِ

يا أُمّتي كُنْتِ خَيْرَ النّاسِ قاطبةً
ولا يُحكِّمُ خَيْرُ النّاس فيه رَدي

هذي سبيلي لوجه الله خالصةٌ
وذا كِتابي وربُّ العرش مُلْتَحَدي

---

(١) الكبل ذو السن: حبل مجدول من الشريط الشائك تضرب به أجساد المعتقلين في سراديب التعذيب.

رثاء مجاهد لولده الشهيد

مَنْ مُبْلغُ الأهْلَ؟ إنْ أبْقى الزّمانُ لَهُـمْ
ذِكراً إذا لَمْ يَقُلْ: بالأمس قدْ كانـوا

قَـدْ قَسّـم الدّهـرُ أحبـابي فَنِصْفُهُـمُ
طَـواهُ سجـنٌ ولَـفَّ النّصْـفَ أكْفـانُ

يا زائِرَ الحيِّ إنْ جـزْتَ الحِمـى غَلَسـاً
وقـد تَنَكّـرَ أحبـابٌ وجيران

وأوصِدَتْ دونَكَ الأبوابُ مِنْ وَجَـلٍ
وأطْفـأَ النّـورَ والنّيرانَ سُكّـانُ

فَقِـفْ ولا تَخْشَ ظُلاّمـاً ولا ظُلَماً
إذْ طـالَما أمّ ذاكَ البـابَ عُمْيـان

وطـالَما دَقَّ ذاكَ البـابَ أرْمَلَـةٌ
لها يَتيمان: جَـوْعـانٌ وعُـرْيـان

فَلَـمْ يُـرَدّوا بما يُغْضي ولا ظُلِمـوا
إذْ صـان حقّهُـمُ بـالأمس صَـوّان

فَقِفْ على البـاب واسْألها إذا وَعِيَـتْ
يا دارُ: مـا لَـكِ لم يُـؤنِسْـكِ قُـرآنُ؟

أيـن الزّمـانُ الذي ذُقْنـــا حلاوَتَـــهُ؟
نَجْني مـن الشَّهْـدِ مـا لم يَجْـنِ نُعْمان
أَبُـدِّلَ الشَّهْـدُ مُـــرّاً في مَـــذاقَتِـــهِ؟
أمْ بَدّلَتْ طَعْمَـهُ في الحلـق أشجـان؟
طابَتْ ليـاليـكِ فـاسْتَهْـوَتْ أَراقِمَهـا
وصـارَ يَسْكُـنُ دارَ الإلْـــفِ ثُعْبـــان
وأبْعِـدَ الطّيْـرُ عـن أفنـانِـــهِ فَشَجـــا
فَهَـلْ تَمَـلّ شَجِـيّ الطّيْـــرِ أفْنـــان؟

* * *

يا دارُ: أينَ العَذارى فيكِ ساجِـدَةً؟
أين الشّبابُ؟ وما ضلّـوا ولا خـانـوا
وأين «ياسرُ»؟ يا بدْرُ ادْنُ لي كَرَمـاً
قد غابَ نَـدُّكَ ـ إنّ القَلْـبَ ولْهـان ـ
حـاكَيْتَـهُ في العُلا وَجْهـاً ومكْـرُمَـــةً
لكـن تَغـايَـرْتُما ـ إذْ فيـكَ نُقْصـانُ ـ
والشّمسُ إنْ غيّبَتْ مَسْراكَ من خَجَـلٍ
فما يُغَيِّبُـــهُ في السَّيْــــرِ فتيــــان
أُسـائِـلُ الشَّمْسَ عنـه كُلّما غَـرَبَـتْ
يا شَمْسُ هل لَكِ في مَسْـراهُ عِـرْفـانُ

غابَ الحبيبُ فهل في الكهف مَسْكَنُـهُ؟
أم بين مَوْتىٰ هُـمُ الأحيـاءُ إنْ بـانـوا
ونَلْثُـمُ الرّيـحَ إنْ هــبَّ القَبــولُ بها
لعــلَّ مِــنْ ريحِهِ رَوْحٌ ورَيْحــان
ونَسْألُ الدَّرْبَ عن ليثٍ سَريعٍ خُطىً
عـالي الجَبينِ ـ وكم لليُسْــرِ خِلاّن ـ؟
وكم جُنـوني تَلُــفُّ الطّيْــفَ في غَلَسٍ
حِفْظـاً ويُسْكِنُـهُ في القلـب إيــوانُ؟
أُراقِـبُ البـابَ في شَـوْقٍ لِطــارِقِــهِ
لَعَلّـهُ مَنْ لــه في القلــب إسْكــانُ
فَكُـلُّ فتحــةِ بــابٍ جَــدَّدَتْ أَمَلاً
والقَلْبُ بالظّنِ بعد اليَـأْسِ فـرحـان
فَيا لَمَيْتِ الرَّجَا كَـمْ صـارَ ذا أَمَـلٍ؟
وكم يَفِـرُّ لِطَيْــفِ الحُلْــمِ يَقْظَــانُ؟
حتّـى طَـوَى أَمَلي مـن كـان يَصْحَبـهُ
: (لن يَخْرُجَ الشَّيْخُ ما باليد إمكـان)
فَعُـدْتُ أجْمِـلُ آهــاتٍ إذا زفِــرَتْ
تُـذيـبُ دَمْعـاً لـه للقلــب أشْطــانُ

* * *

يَوْمَ الفِراقِ : فما أقْساكَ مِن زَمَنٍ ؟
الأمُّ تبكي وحولَ الأمِّ غِلْمانُ
فقالَ: رُحْماكُمُ هل عَيْشُنا لُقَمٌ؟
كالبُهْمِ نحيا إذا ما البطنُ ملآن
خُلِقْتُ في الكون أحمي دينَ خالقِهِ
يا ضَيْعَةَ العُمْرِ شبعانٌ وجَوْعان
إمّا حياةٌ بِجَنْبِ الله هانِئَةٌ
أوْ نَصْرُ ديني ونصرُ الله رِضْوان
طَلَّقْتُ دُنياكُمُ حُبّاً بخالِقِها
ولن أزيغَ إذا ما الكَوْنُ زَيْغان
فارْكَبْ معي يا أبي: لله مُشْرَعَةٌ
ولن تَضِلَّ وربُّ العرش ربّان
والموجُ طَوْدٌ كإشفاقي فهاتِ يداً
لا عاصِمَ اليَوْمَ للطُّغْيانِ طوفان
هذي سبيلي وما دَرْبي بها عِوَجٌ
وليس دينِيَ إنْكارٌ وإيقانُ
والبحرُ أركبُهُ والقلبُ في ظَمَأٍ
لكوثر الخُلْدِ لا للوَحْلِ حرّانُ

* * *

نـــادَيْــتُ ربِّـــيَ والدولابُ يعصرُني
والسَّـوْطُ لانَ بـأيـديهم ومــا لانــوا
ربّاهُ: روحي لكم فـافْعَـلْ بما مَلكَـتْ
يُمناكَ، ما مَلكوا روحي وإنْ هـانـوا
فـالـمُـرُّ يَحْلـو لـوجـه الله عَلْقَمُــهُ
وليس تحميــكَ بعـــد الله أكْــوانُ
لا أحْبِسَـــنَّ دمــــاً اللهُ أودَعَـــهُ
قلبي، فـإنّ ثَــرىٰ الإسلام عطشــانُ

* * *

فابْذِلْ جهـازَ عَـروسي عُـدّةً حُشِيَـتْ
كَيْدَ اللّظىٰ قـد بـدا للصّعْـق إيـذانُ
وقُلْ لِمَـنْ حـامَ قلبي فـوق مسْكَنِهـا
ومــا طَبَــتْ مُهْجَتي دورٌ وحيطـــانُ
أقامَ مـوسى جـداراً هُـدَّ مـن قِـدَمٍ
وهْـيَ الكُنـوزُ لها في القلـب جُـدْرانُ
ما كنتُ أقوى على السّلْوانِ إنْ بَعُدَتْ
كـانــت تُقَــرِّبُهــا عيني وأجْفــانُ
هـدَّمْــتُ لله أحلامــاً عَمَــرْتُ بها
عُمْـري فلا هـدَّهـا ضَيْــمٌ وبُهتــانُ

نادى المنادي فَقَطّعْتُ الذي وَصَلَتْ
وحال دونَ سرير الوَصْلِ ميدانُ
حرّمْتُ لثم اللّمىٰ والخَدّ في ضَعَةٍ
إنْ أُمّتي ذَلّها ذُلٌّ وخُذْلانُ
فما غَنَتْ حُمْرَةُ الخَدّيْنِ عن لَهَبٍ
وما غَناني عن الرُّمان رُمّانُ
ولا أتوقُ لكأسٍ ما به كَدَرٌ
حتّى يُوَرِّدَهُ عِرْقٌ وشِرْيان
سُقيتُ كأساً أبَتْ نَفْسي مَذاقَتَها
والشّعْبُ في حَمْأةِ التّهريج غَرْقانُ
وقد تَراقَصَ فُسّاقٌ على نَغَمٍ
أَلَيْسَ لِلسُّمْرِ بالإيقاعِ إتْقانُ؟
فَلْيَشْهدِ الكَوْنُ فِتْياناً إذا عَبَدوا
ربّاً فما اسْتُعْبِدوا يوماً ولا دانوا

* * *

فَرُحْتُ أرْمُقُهُ والعَيْنُ ناطِقَةٌ
إذْ بُتَّ من عِقْدِها دُرٌّ وَمَرْجانُ
وَقُلْتُ ايهِ حَبيباً خِلْتُ أُدْرِكُهُ
في الشّأْوِ لكنْ مِنَ الإمْعانِ إمْعانُ

أَوْدَعْتُـكَ اللهُ مـا ضـاعَـتْ ودائِعُــهُ
ولا يَتِـــمُّ بِغَيْـــرِ اللهِ إحصــــانُ
قَسِـرْ إليهـا إذا جـالَـتْ نَـواظِـرُهـا
حَمْـراءَ يُضْـرِمُهـا شيـبٌ وشُبّـان
واسْتَشْهِـدِ الكَـوْنَ إنْ غَـرّتْ رزيئتُنـا
طـاغٍ فـإنّـا على الطُّغْيـانِ بُـرْكـانُ
جحـافِـلَ الحقِّ شُـدّي كُـلَّ سابِحَـةٍ
فَـإثْـرَ رَكْـبِ رســولِ اللهِ رُكْبـانُ
فما نُغَيَّــبُ إنْ غـــابَ الوليـــدُ ولا
نَفْنَى إذا أُعْدِمَ « الـمَهْدي » و « مروانُ »
جحـافِـلَ الحَقِّ لا نـامَـتْ لنـا مُقَـلٌ
عـن الحسـابِ وللــدَّيـانِ ميــزانُ.

رسالَةُ مُجاهِدٍ لأُمِّهِ

أُمّــاهُ: حــاشــا مُهْجَتي تَسْلاكِ
يا مَنْ رضىٰ الرَّحْمنِ مـنْ مَـرْضـاكِ
ظَلَّلْتِني في رحمة الله التي
كَـرُمَـتْ بها روحـي بطـولِ بَقـاكِ
غَـذَّيْـتِ قَلْبي مِـنْ حَنـانِـكِ رَحْمَـةً
مـن قَبْـلِ مـا بَصُـرَتْ بـه عينـاكِ
كم أشْـرَقَـتْ روحـي ببسمتـك التي
تجلي هُمـومـي حينما ألقـاك
إنْ جُـنَّ ليلي مـا غفَـتْ لي مُقْلَـةٌ
مـا لم تُكَحَّـلْ مُقْلَتي بلقـاك
وَالله لَمْ أهْجـرْ حنـانَـك قَسْـوَةً
لكِـنْ عَجِلْـتُ إلى رِضـا مَـوْلاك
أُمّـاهُ قـد نـادى المنـادي فـاذكُـري
عَهْـداً لـربّـي أنْ أصـونَ حِماك
لا تجزعـي أُمّـاهُ هـذا دَرْبُنـا
سَحْـقُ الخَؤونِ وَطُغْمَـةِ الأفّـاكِ

أرْضَعَتْنِي لَبَــنَ العَقيــدةِ صــافيــاً

فــإذا دَمـــي نـــارٌ على السَّفّـــاك

وَبِغيرةِ الحِجْـــرِ الغَيـــورِ تجرّدَتْ

روحـي لِتَسْمـــو فـــوق كُـــلِّ سِماكِ

يا (مَصْنَعَ الأبْطـالِ): إيـهٍ فـاخـري

شمس الضُّحـى إنْ نـافَسَـتْ مَسْـراك

قولي: «غَـذَوْتُ لِـديـنِ ربّـي ضَيْغَماً

فـاجْعَلْــهُ ربّـــي داحِـرَ الإشْــراك

إنّـي نَـذَرْتُ مُجَـرَّراً لَـكَ خـالِقـي

لعقيـــدةٍ تَسْمـــو على الأفْلاك»

فـإذا حبـاني خـالِقـي نَصْـراً فــذا

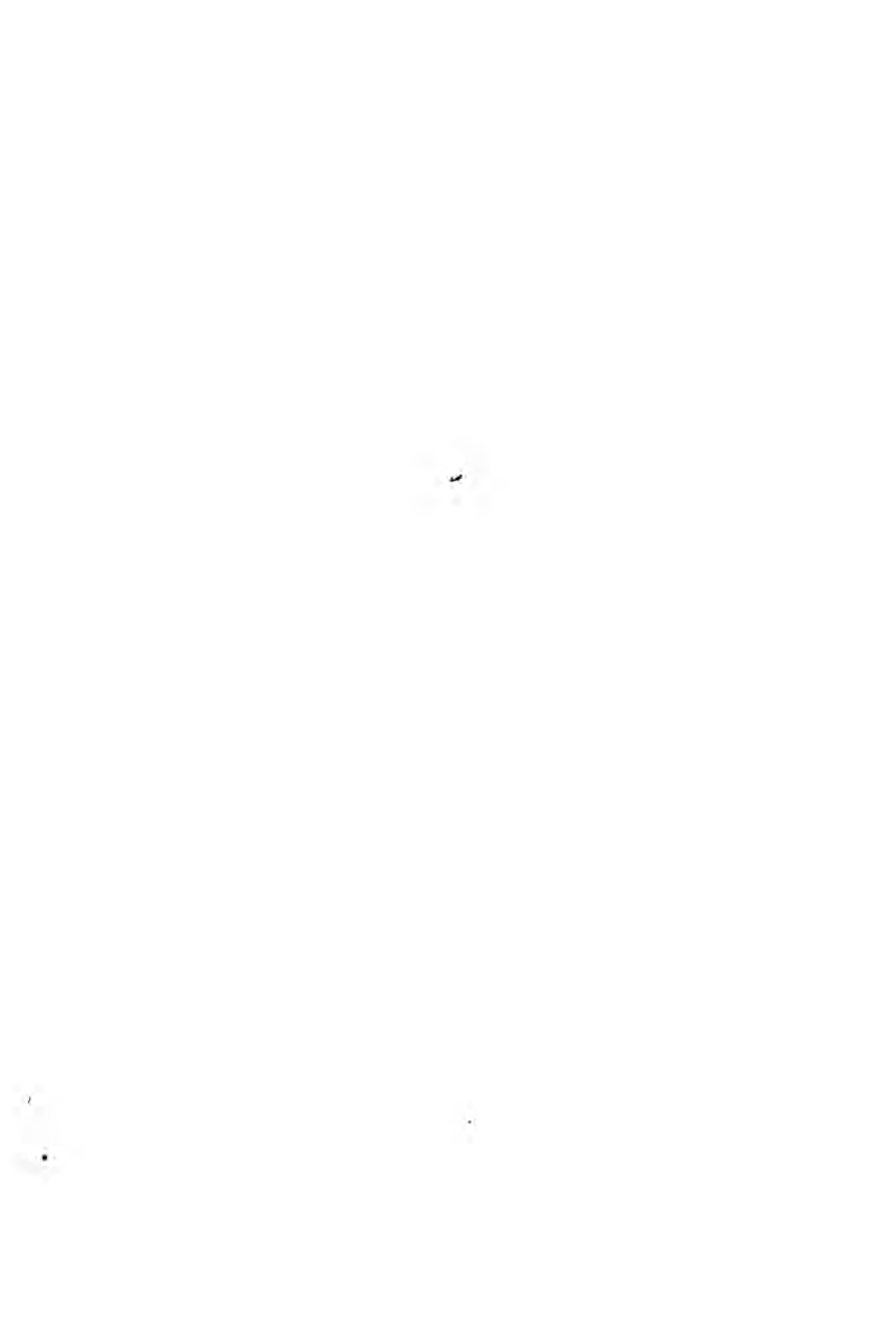
مَـــنٌّ وأكْـــرَمُ نِعْمَـــةٍ أهْـــداكِ

وإذا قُتِلْـتُ ففـي الجِنـانِ لِقـاؤُنـا

يـا طيـبَ لُقْيـانـا وطيـبَ جَـزاكِ

الفهرس

الموضوع | الصفحة



تطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

هاتف : ٣١٩٠٣٩-٨١٥١١٢ - ص.ب : ٧٤٦٠ - برقيا : بيوشران